

الفصل الرابع

فرعون موسى

لقد كانت تقتضى الطقوس والتقاليد المصرية القديمة أن يتم تحنيط جثة المتوفى والحفاظ عليها فى مكان آمن حتى ينعم فى العالم الآخر بما كان ينعم به فى الحياة الدنيا. ويبدو أنه بعد غرق فرعون أثناء مطاردة بنى إسرائيل، قام من نجا من الغرق بانتشال جثته وقام أفراد البيت الملكى وكبار الكهنة بتحنيطها ونقلها فى تابوت إلى طيبة حيث مقبرة الملك بوادى الملوك.

وقد يدعوننا الفضول إلى محاولة معرفة أو استنباط كنه هذا الفرعون، فرعون موسى، الذى يختلف فيه القول وتتضارب حوله الآراء، وجميعها آراء لا بيّنة واضحة على صحتها، وإن كان بعضها تدعمه بعض الأدلة والحيثيات. ونظراً لخلو الآثار المصرية مما يشير إلى حادثة الخروج هذه، كانت التكهّنات المختلفة والمتعددة التى تقوم على افتراضات لا تستند على دليل أثري يمكن الاعتماد عليه فى تحديد هذا التاريخ، وبالتالي تحديد الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام والذى تناولت الكتب المقدسة صفاته دون البوح باسمه. فرأى البعض أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد حدث فى عهد الهكسوس، ورأى آخرون أنهم قد خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وبالتحديد فى عهد الملك تحتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م تقريباً)، وآخرون يعتقدون أن خروجهم كان فى عهد ابنه أمنحتب الثانى (١٤٥٠ - ١٤٢٥ ق.م تقريباً)، كما أن هناك من الباحثين من يرى أن ذلك قد حدث فى عهد أمنحتب الثالث (١٤١٧ - ١٣٧٩ ق.م تقريباً)، ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بأن خروجهم من مصر كان على أثر وفاة أمنحتب الرابع (اخناتون) الذى تولى الحكم فى الفترة من ١٣٧٩ - ١٣٦٢ ق.م تقريباً، أو أن اخناتون نفسه هو موسى عليه السلام. وظهرت آراء أخرى ترى أن الخروج حدث فى عهد رمسيس الثانى (١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق.م)، أما رأى الوحيد المعتمد على نص مشكوك فى صحة قراءته وتفسيره فإنه يرى أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان فى أيام مرنبتاح (١٢٣٦ - ١٢٢٣ ق.م تقريباً) وذلك استناداً إلى لوحته المعروفة.

ويمكن اجمالاً هذه الافتراضات التي تناولت هذه الحادثة وفرعون موسى بالدراسة والبحث جاهدين من خلال بعض الأدلة الوصول إلى كنه هذا الفرعون ومن يكون، وفيما يلي مثل هذه الافتراضات وأصحابها.

الافتراض الأول

أصحاب هذا الافتراض يرون أن أحمرس الأول (صورة ٧) طارد الهكسوس هو فرعون موسى زاعمين أن الهكسوس هم بنو إسرائيل، معتمدين في ذلك على أن مانيتون السمنودي، الكاهن والمؤرخ المصري القديم، ذكر أن العابيرو (أو الخابيرو) الذين ذكروا في النصوص المصرية القديمة هم أنفسهم العبرانيون أي بنو إسرائيل. وهم أيضاً الهكسوس الذين حكموا مصر وأن طرد الهكسوس من مصر بواسطة أحمرس هو نفسه خروج بنى إسرائيل من مصر، وبالتالي فإن أحمرس هو فرعون موسى!. وأول من قال بهذه النظرية المؤرخ اليهودى يوسيفوس (يوسف) ابن متى، الذى عاش فى القرن الأول الميلادى. ونهج نهجه فى ذلك عدد من المؤرخين معظمهم من اليهود.

ولا يمكن تصديق هذا الادعاء لسببين: أن المصدر الذى ينسب إليه هذه المعلومة وهو كتاب «مانيتون»، المؤرخ المصرى الذى عاش زمن بطليموس الثانى فى مدينة سمنود، قد فقد فى حريق مكتبة الإسكندرية عام ٤٨ق.م. كما أن تسمية الهكسوس فى أصلها لم تعبر عن شعب معين بقدر ما عبرت عن صفة لمجموعة من الحكام أطلق عليها المصريون القدماء اسم «حقاو خاسوت» بمعنى حكام البرارى. وحوّر بعض مؤرخى الإغريق وغيرهم هذه التسمية إلى «هكسوس» التى ترجمها مانيتون بمعنى «ملوك الرعاة»، ثم ترجمها يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاش فى القرن الأول الميلادى بمعنى «الأسرى الرعاة». وربط بينهم وبين العبرانيين كطائفة تابعة لهم، وافترض أن النبى يوسف دخل مصر فى عصرهم، وأنهم أى العبرانيون خرجوا معهم بعد جلائهم من مصر. وقد يرمى من وراء هذا إلى التدليل على قدم نشأة اليهود وأن طائفة منهم أو هم أنفسهم قد حكموا مصر مدة من الزمن وهى فترة حكم الهكسوس التى وصلت إلى ٢٠٥ أعوام تقريباً. والمعروف تاريخياً أن أول قدوم بنى إسرائيل كان عند مجىء يعقوب وأولاده بدعوة من ابنه يوسف عليهم السلام والذى كان نائباً لأحد ملوك الهكسوس الذى احتفى بهم وأكرمهم وأنزلهم أرض «جاسان» أو «جوشن» شرق الدلتا، حيث أظهروا له ولاءهم على الرغم مما ركب فيهم من حب

العزلة والاعتزال والاعتداد بعصبيتهم وحرصهم على عدم الامتزاج بالمجتمع الذى آواهم. كما يذكر العهد القديم:

«فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال أبى وإخوتى وغنمهم وبقرهم وكل ما لهم جاءوا من أرض كنعان وهوناً هم فى أرض جاسان. وأخذ من جملة إخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام فرعون، فقال فرعون لإخوته ما صنعتكم فقالوا لفرعون عبيدك رعاة غنم نحن وآبائنا جميعاً. وقالوا لفرعون جئنا لنتغرب فى الأرض إذ ليس لغنم عبيدك مرعى، لأن الجوع شديد فى أرض كنعان، فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاسان. فكلم فرعون يوسف قائلاً: أبوك وإخوتك جاءوا إليك، أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك، ليسكنوا فى أرض جاسان، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التى لى» (سفر التكوين ٤٧ : ١ - ٦)

ولقد رأى الهكسوس فيهم عوناً لهم خصوصاً أنهم أهل بدواة مثلهم. وأثمروا وتوالدوا كما يقول العهد القديم، ولعلمهم قد كانوا عوناً للهكسوس عندما خاض المصريون معهم حرب التحرير. المهم أنهم «أثمروا وتوالدوا وكثروا» فمن أين إذاً كان التسخير والعذاب والتمسك بالبقاء أى إنهم لم يتعرضوا لتسخير الفرعون أحمس وسوء عذابه كما أنه لم يتمسك ببقائهم (إن كانوا هم الهكسوس فعلاً) بل كان يطاردهم ليجليهم عن أرض مصر، وهذا يتعارض مع ما هو معروف من أن فرعون موسى، كما تذكر التوراة، تمسك ببقاء بنى إسرائيل فى مصر لتسخيرهم فى خدمته. كما أن أحمس كان يحكم من جنوب مصر فى طيبة فى حين أن الهكسوس كانوا فى الشمال وأن بنى إسرائيل كانوا يتركزون فى أرض جاسان أو جوشن شرق الدلتا فكيف يتأتى لأم موسى أن تلقيه فى النهر فيلقتة آل فرعون الذين يقطنون الجنوب! كما أن أحمس لم يرد عنه ادعاءه الألوهية. والعديد من الأدلة الأخرى تجعل هذا الافتراض فكرة واهية غير قابلة للتصديق والقبول.

الافتراض الثانى

يقول بأن فرعون التسخير والذى سخر وعذب بنى إسرائيل وقتل أبناءهم واستحيا نساءهم هو أحمس الأول بينما فرعون الخروج والسذى غرق فى اليم وطفث جثته وصارت لمن خلفه آية هو الفرعون تحتتمس الأول (صورة ٨). وقائل هذا الرأى هو الدكتور محمد

وصفى^(١) الذى يرى أن أحمس إنما قام بما قام به من قتل وتعذيب واضطهاد كان نتيجة لولادة بنى إسرائيل للهكسوس المحتلين الغزاة، فكان من الطبيعى أن يعمل على استئصال هذه العناصر الموالية لهم، فكان يذبح أبناءهم حتى لا يكبروا فيصبحوا شوكة فى ظهره. وكان يستعمل بنى إسرائيل فى بناء المدن فلم يكن من السياسة أن يبيدهم كلهم.

ويقول: إن بنى إسرائيل ظلوا فى التعذيب منذ أن تولى أحمس الحكم عام ١٥٨٠ ق.م وأن موسى ولد سنة ١٥٧١، ويقول إن موسى عاصر ثلاثة فراعين هم بالترتيب: أحمس الأول مدة ١٤ عاماً وأمنحتب الأول ١٦ عاماً ثم تحتمس الأول مدة ٣٩ عاماً. وأن موسى لما قتل المصرى كان عمره ٦١ عاماً وتغرب فى أرض مدين ٨ سنوات ثم عاد وعمره ٦٩ عاماً ودعا الفرعون سنة واحدة ثم كان الخروج.

ويتعارض هذا الافتراض أيضاً مع مجموعة من الحقائق التاريخية أولها أن مركز حكم وإقامة أحمس كما قلنا سابقاً كان فى جنوب مصر فى طيبة فلا يعقل أن يتم التقاط موسى فى الجنوب حيث مقر الملك، فالنهر يجرى إلى الشمال لا إلى الجنوب. كما أن السنة التى قضاها موسى فى دعوة فرعون وقومه قبل الخروج لا تكفى فيما يُعتقد لإظهار الآيات العديدة التى ساقها الله على يد موسى والثابتة فى الكتب المقدسة.

كما أن تحتمس الأول لم يثبت عنه تاريخياً ادعاؤه الألوهية كما تؤكد الكتب المقدسة عن فرعون موسى، بل إنه استولى على الحكم بعد وفاة والده الملك أمنحتب الأول، على الرغم من أن والدته «سنى سنب» لا يجرى فى عروقها الدم الملكى، فلم تكن زوجة رئيسية لملك أو ابنة ملك، ولكنه استطاع أن يستولى على العرش بزواجه من الأميرة أحمس التى كانت أغلب الظن من أصل عريق تنتمى إلى العائلة المالكة. ولعله كان يشعر بنقص من هذه الناحية فحاول أن يزجى لنفسه لقباً ملكية فأطلق على نفسه (ملك من ابن ملك) محاولاً بذلك الانتساب إلى سلسلة الفراعين ذوى الحق الشرعى. ولما كان الأمر كذلك، وبالكاد وصل إلى العرش فإنه لم يكن ليتجاوز ذلك ويدعى الألوهية كما هو ثابت فى حق فرعون موسى.

وقد حكم طبقاً لما ورد فى تاريخ مانيتون اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر. كما أنه لم يرد أن تحتمس الأول مات ميتة فجائية أو غير طبيعية، بل مات ميتة عادية وخلفه ابنه تحتمس الثانى مستنداً إلى زواجه من الوريثة الشرعية أخته غير الشقيقة بنت تحتمس

(١) محمد وصفى، الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسول، ترجمة وتحقيق: بسام عبد الوهاب الجابى،

دار ابن حزم، ١٩٩٧ ص ١٥٦.

الأول (حتشبسوت).

كما أن التواريخ التي أوردها فيما يتعلق بمدّة الحكم للفراعنة الثلاثة المذكورين «أحمس» وأمنحتب الأول» و«تحتمس الأول» غير دقيقة وتختلف مع كثير من المصادر التاريخية الموثوقة. إذاً هناك من الأدلة ما يتعارض مع هذه الفرضية وينفيها أيضاً.

الافتراض الثالث

يعتمد أصحاب هذا الافتراض على عملية حسابية ترجح مولد موسى قبل خروج بنى إسرائيل من مصر بثمانين عاماً، اعتماداً على ما ذكر في العهد القديم سفر (ملوك أول: ٦ : ١): «وكان في السنة الأربع مائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من مصر في السنة الرابعة للملك سليمان على بنى إسرائيل في شهر زيو هو الشهر الثانى أنه بنى بيت الرب». ولما كان حكم سليمان قد بدأ عام ٩٧٠ ق.م، فالعام الرابع من حكمه هو العام ٩٦٦ ق.م. فإذا أضفنا إليها الـ ٤٨٠ سنة لعاد ذلك بنا إلى عام ١٤٤٦ ق.م أى فى أواخر حكم تحتمس الثالث ١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م. هذا بالإضافة إلى اعتقادهم بأن الملكة حتشبسوت (صورة: ٩) التى كانت ابنة لتحتمس الأول هى التى عثرت على تابوت موسى وتبينته كما تقول التوراة، ثم تزوجت من أخيها غير الشقيق تحتمس الثانى الذى أصبح فرعوناً واستمر يحكم مصر خمس سنوات فقط. وهى بذلك زوجة الفرعون التى انتشلت موسى من الماء كما يذكر القرآن وكان ذلك عام ١٤٢٧ ق.م وأنه تربى فى بلاطها وضمن حاشيتها.

ولما تولى تحتمس الثالث العرش ونظراً لعداوته السابقة للملكة التى اغتصبت حقه فى الحكم فقد فر موسى من مصر إلى مدين خشية انتقامه وقد اختفت حتشبسوت من التاريخ المصرى سنة ١٤٤٢ ق.م وكان عمر موسى وقتها أربعين عاماً. ثم عاد إليها وكان الخروج منها عام ١٤٤٧ ق.م. وعلى ذلك فإن فرعون موسى أكثر من شخص، تحتمس الأول الذى اضطهد بنى إسرائيل وتحتمس الثانى الذى قام بتربية موسى وتحتمس الثالث الذى جاء له موسى فيما بعد نبياً مرسلًا وهو فرعون الخروج. وممن ينادى بهذا الرأى «مراد محمد محمود الدش» ويرى أن العبور كان من بحيرة قارون وذلك فى كتابه «عبور موسى من بحيرة قارون، وتحتمس الثالث فرعون الخروج».

وهناك مجموعة من الحقائق تعارض هذه الفرضية وتدحضها: أولى هذه الحقائق أن المدة المذكورة فى سفر «ملوك أول» السابقة والمقدرة بـ ٤٨٠ عاماً تختلف فى بعض ترجمات

العهد القديم عن بعض الترجمات الأخرى. فبعضها يجعلها ٤٤٠ عاماً فقط، ومنهم من يزيدها إلى ٥٨٠ عاماً! مما يرجح أن يكون هذا الرقم المذكور كان تخميناً من أحد كتبة العهد القديم وليس رقماً دقيقاً لأن هناك ١٢ جيلاً تقع بين الخروج وبين بناء هيكل سليمان. وافترض واضع هذا الرقم لكل جيل ٤٠ عاماً فيكون $١٢ \times ٤٠ = ٤٨٠$. ولو افترضنا لكل جيل ٢٥ عاماً بافتراض أن الأبناء سيتزوجون في سن الخامسة والعشرين وهو افتراض معقول لكان $١٢ \times ٢٥ = ٣٠٠$ وهذا يقودنا إلى تاريخ الخروج في عام ١٢٧٠ ق.م. أثناء حكم رمسيس الثاني الذي كان حكمه بين ١٣٠٤ - ١٢٣٧ ق.م. هذا بالإضافة إلى أن فرار موسى من مصر إلى مدين كما أشار القرآن الكريم كان بسبب الخوف الذي تملكه نتيجة قتله للمصري. كما أن تحتتمس الثالث لم يثبت تاريخياً عنه أنه قد ادعى الألوهية بل على العكس من ذلك كان رجلاً قد امتاز بشفقتة وإنسانيته بل ورحمته بالمغلوبين. فقد رأيناه كما يقول سليم حسن^(١) يتجاوز عن سيئات أمراء الحلف الذين تأمروا عليه بعد أن وقعوا في قبضته في موقعة «مجدو» فلم يسلبهم عرشهم، أو يحرّمهم متاعهم، وحتى عدوه اللدود «أمير قادش» وكذلك أمير «تونب» نراهما قد مثلا في قبر «مدير أعماله» منخبر رع سنبل» وقد أتيا إلى الفرعون أحراراً لم توضع في أيديهما السلاسل ولا في رقابهما الأغلال مما يدل على أنهما كانا بدورهما قد صفح عنهما. وكذلك نلاحظ أن رهائن العدو قد لاقوا معاملة حسنة، وأعيدوا في نهاية الأمر إلى أوطانهم، ولم نسمع مرة أن «تحتتمس الثالث» (صورة ١٠) قد مثل بأجسام قتلى العدو الذي هزم بصليهم في مقدمة سفينته كما فعل جده «تحتتمس الأول» وابنه «أمنحتب الثاني». كما أنه كان رجلاً صادقاً متديناً إذا يقول عن نفسه:

«إني لم أنطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الفخر بما عملته فأقول إني فعلت شيئاً دون أن يفعل جلالتي ولم آت بعمل فيه مظنة، وقد فعلت ذلك لوالدي الإله آمون لأنه يعرف ما في السماء ويعلم ما في الأرض ويرى كل العالم في طرفة عين» .

كما أن بنى إسرائيل لم يكن في استطاعتهم دخول فلسطين بعد سنوات التيه الأربعين لأن النفوذ المصري كان قوياً في فلسطين فلقد أسس تحتتمس الثالث إمبراطورية واسعة وطيدة الأركان، واستمر النفوذ المصري قوياً في منطقة الشرق الأدنى وفي فلسطين بالذات أثناء حكم من خلفه من الفراعنة أمنحتب الثاني ٢٣ عاماً - تحتتمس الرابع ٨ أعوام

(١) سليم حسن، مصر القديمة، ج ٤، ص ٥٠٩.

- أمنتب الثالث ٣٧ عاماً أى لمدة ٦٨ عاماً. حتى وإن كان النفوذ المصرى قد ضعف قليلاً أيام حكم أخفانون فإنه عاد ثانية بعد انتهاء ثورته الدينية وبلغ أوجه ثانية أيام سىتى الأولى ورمىىى الثانى.

الافتراض الرابع

وصاحب هذا الافتراض هو الدكتور رمضان عبده^(١) والذى يقول عنه أنه ليس سوى افتراض قابل للمناقشة يقوم على القول بأن قصة موسى عليه السلام وقعت أحداثها فى عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٦٧ - ١٣٢٠ ق.م)، دون تحديد دقيق لعصر الملك الذى وقعت هذه الأحداث فى عصره، معتمداً فى ذلك على التأويل اللغوى لمجموعة من المفردات اللغوية التى ذكرت فى القرآن والمتعلقة بقصة موسى عليه السلام وأصولها فى اللغة المصرية القديمة والتى يعود معظمها إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة والقليل منها إلى تل العمارنة، ومن هذه المفردات:

«امراة» فى [سورة القصص]: ﴿وَقَالَتْ أَمْرَأْتُ فِرْعَوْنُ قُرْتُ عَيْنِي لَكَ لَأَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١) ويردها إلى أصلها فى المصرية القديمة بمعنى mrt مرت أى محبوبته وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة.

«الأسباب - أسباب السموات» فى سورة غافر:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كُذْبًا وَسَكَدَ رُؤْيُ فِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ .

ويرى أن أصلها فى المصرية القديمة isbt «اسبت» بمعنى «قبة السماء» وظهرت هذه الكلمة فى عصر الأسرة الثامنة عشرة (فى نصوص تل العمارنة) وهى تعنى فى العربية الفصحى «كنه أو سر السموات».

وكلمة «المدينة» فى [سورة القصص - الآيات ١٥، ١٨، ٢٠]:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ

(١) رمضان السيد عبده (دكتور)، دراسة حول تطور علاقة موسى بالمستول فى مصر فى الفترة التى عاش فيها، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، العدد الثانى، يوليو ٢٠٠٠.

عَدُوِّهِ فَاسْتَعْتَنَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِيهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ حَايِبًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ
مُبِينٌ ﴿١٨﴾

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ
مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾

ويرجع أصلها في المصرية القديمة الى mdn «مدن» وظهرت في عصر الأسرة الثامنة
عشر.

وكلمة «الملك» والتي ذكرت في [سورة الأعراف - الآيات ١٠٣، ١٠٩، ١٢٧]:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧٣﴾

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٩﴾

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرْنَاكَ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُوعًا وَأَهْلِيكَ أَلَّا
سَتَقِيلُ أَيْتَاهُمْ وَسَسْجَىٰ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٣٧﴾

وفي [سورة الزخرف]: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾

ويرجع أصلها في المصرية القديمة إلى mr «مر» والتي حرفت إلى ml أى ملأ وظهرت
في عصر الأسرة الثامنة عشرة.

«اليم» فى [سورة الأعراف]: ﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنْهُمْ مَغْرَقًا لَهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وفى سورة طه الآيات ٣٩ و ٧٨ و ٩٧.

﴿ أَيْنَ أَقْبَرِهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْبَرِهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ
مَحْبَتَ مَنِيٍّ وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾

﴿ فَأَنْبَعَثْهُمْ فِرْعَوْنَ بِمُجُونَدِهِ فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهُمْ ﴿٧٨﴾

﴿ فَكَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَىٰ

إِلَيْهِكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحْرُقَتُهُ، ثُمَّ لَنُنِسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ . وفى [سورة القصص - الآيات ٧ و ٤٠]:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذًا حِفَّتِ عَلَيْهِ فَكَالِقَبِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُوذَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

وفى [سورة الذاريات]: ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُوذَهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

ويرى أن أصلها فى المصرية القديمة ym «يم» وظهرت فى عصر الأسرة الثامنة عشر.

وكلمة ﴿التَّابُوتُ﴾ فى [سورة البقرة]:

وفى [سورة طه]: ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣١﴾ ﴾ .

برى أن أصلها فى المصرية القديمة db3t «جبات» وتعنى تابوت، وظهرت فى عصر

الدولة الوسطى وجاءت منها كلمة Tb.t «تبت» فى العصر البطلمى بمعنى «صدون».

والتابوت هنا فى الآيات يعنى الصندوق الصغير الذى وضع فيه سيد موسى، ضيفا

والذى وضعت فيه فيما بعد بقايا عصاه وألواحه وما تركه هارون مصدقا لقول الله تعالى:

[سورة البقرة]:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهَا مَقَامَاتٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آئِلُ مُوسَىٰ وَعَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ . ولا تعنى كلمة تابوت هذا التابوت الذى كان أحد

القطع الضرورية للدفن فى مصر القديمة.

وفعل «تصطلون» والذى ذكر فى [سورة النمل]:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سائِكُمْ مِنْهَا خَبِرٌ أَوْ آتِيَكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ

تَصْطَلُونُ ﴿٧﴾ ﴾ .

وفى [سورة القصص]: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نارا

قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنستُ نارا لعلَّ آتِيَكُم مِنْهَا خَبِرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ

تَصْطَلُونُ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يرى أن أصله بالمصرية القديمة St3 ستا «نار أو قليل منها» أدخلت عليها أداة التعريف T3 «تا» ومنها جاء الاسم الدفء . وربما استخدمت أيضاً كفعل بمعنى ينشر الدفء ، وظهرت في عصر الأسرة الثامنة عشرة وفي العربية «اصطلى النار» أى استفاداً بها.

والنهي «لا تنيا» في [سورة طه]:

﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (٤٢) ، وأصلها في المصرية القديمة tnj3 ثنيا فعل بمعنى يضعف ، وظهرت في عصر الأسرة الثامنة عشر.

وكلمة «ردء» والتي ذكرت في [سورة القصص]:

﴿ وَأَخِي هَكْرُوثٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤)

وأصلها بالمصرية القديمة rd «رد» بمعنى نوع من الرداء ، وظهرت في عصر الأسرة الثامنة عشرة بمعنى رداء. أى جعل له رداء بمعنى «دعمه وقواه» كما في المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص ٣٣٧.

وكلمة «رهو» التي ذكرت في [سورة الدخان]:

﴿ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوَ إِيَّاهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴾ (٤٤) ، وأصلها بالمصرية القديمة r3 h3w «رهاو» بمعنى فم النيل (بالقرب من بحيرة المنزلة. ومعناها بالعربية «بحر رهو» أى بحر ساكن، راجع المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص ٣٧٩.

«صرحا» التي ذكرت في [سورة غافر]:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَكْفُرُونَ إِنِّي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ (٣٦) ، وأصلها بالمصرية القديمة Srh «سرخ» بمعنى واجهة قصر أو بوابة معبد، وظهرت في الأسرة الثامنة عشرة وتعنى بالعربية «البناء العالى الذهاب فى السماء»، راجع المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص ١٢.

والفعل «عبدت» في [سورة الشعراء]:

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْكَ أَنْ عَبَدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١٢) ، ويرى أن أصلها في المصرية القديمة Cbdt «عبدت» بمعنى جعلتهم «أهلاً للاستعباد»، وجاءت من الاسم cbd بمعنى عبد.

«غنمى» في [سورة طه]:

﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكْتُهَا عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى عَنَیِّ وَفِيهَا مَتَارِبٌ أُخْرَى ﴾ (١٨) ، وأصلها بالمصرية القديمة hnm «غنم» بمعنى «قطيع حيوانات» وظهرت هذه المفردة منذ عصر

الأسرة الثامنة عشرة.

وكلمة «قبس» فى [سورة طه]:

﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ وفى [سورة النمل]:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَاتِكُمْ مِنْهَا يُخَبِّرُ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ وأصلها بالمصرية hbs «خبس» بمعنى «شعلة» وظهرت منذ الأسرة الثامنة عشرة.

وكلمة «وزير» فى سورة طه ﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى ﴿٢١﴾ ﴾، و [سورة الفرقان]:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ ويرى أن أصلها بالمصرية القديمة WSI «وسر» أو وزر بمعنى «قويا» وشاعت منذ الدولة الحديثة وربما قبل ذلك.

وفعل «يعقب» فى [سورة النمل - الآية ١٠]:

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعَقِّبُ يَمْوَسِي لَّا تَخَفُ إِنِّي لَأَبْخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

وأصلها بالمصرية القديمة i3kb أياكب بمعنى «باكيا» وظهرت فى عصر الدولة الحديثة.

ومن خلال هذه المفردات وغيرها والتي ترجع أصولها فى اللغة المصرية القديمة إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة يصل د. رمضان عبده إلى الافتراض القائل بأن الفترة التي ولد فيها موسى عليه السلام حتى خروجه من مصر تقع بين السنوات الأخيرة من حكم تحتمس الثالث وكل فترة حكم أمنحتب الثانى وتحتمس الرابع وأمنحتب الثالث وبداية حكم أمنحتب الرابع (اخناتون) تقريباً.

فأثناء حكم هؤلاء الملوك الخمسة ولد سيدنا موسى وكبر وأصبح ذا شأن كبير، وخرج من مصر للمرة الأولى وكان يبلغ من العمر ٣٢ عاماً. وقضى فى مدين ثمانى سنوات أو عشر، لذا فهو كلف بالرسالة وسنه ٤٠ عاماً تقريباً، وجاء إلى مصر ثانية لتبليغ رسالة التوحيد إلى فرعون. واستقر فيها فترة ربما بلغت ٣٦ عاماً. وخرج مع قومه فى السنوات العشر الأوائل من حكم اخناتون قبل أن يرحل هذا الملك إلى تل العمارنة فى العام السادس من حكمه. أى إنه عاش فى مصر وخرج منها وعاد وخرج منها للمرة الثانية مع قومه خلال الفترة من

١٤٤٧ إلى ١٣٦٧ ق. م تقريباً.

وهو بهذا يغفل كثيراً من الثوابت في قصة موسى عليه السلام مثل مكان التقاط امرأة فرعون لموسى وهو طفل رضيع. ولا يذكر تحديداً الفرعون الذى ينسب إليه استعباد بنى إسرائيل وتعذيبهم وذبح أبنائهم مقترضاً افتراضاً غير مدعم بدليل أن فرعون الذى ذكر فى الكتب المقدسة ليس سوى مسئول كبير وليس ملك مصر، مدعياً أن انشغال الملكين أمنحتب الثالث ومن بعده اخناتون بالمشاكل الدينية التى بدأت تظهر فى حكمهما هو الذى أدى إلى تهادى هذا المسئول- الذى لم يحدد هويته أو مكانته فى الدولة- فى ظلمه وجبروته لبنى إسرائيل. وهو بذلك يتفادى ثابت آخر لم يشر إليه وهو غرق فرعون وطفو جثته لتكون لمن بعده آية. ويحاول الكاتب أن يدل على فرضيته هذه بما ينسب إلى اخناتون من أنشودة كان يرددتها بنفسه تشهد بوحدانية الخالق وقدرته مؤكداً أن هذا ما هو إلا تأثراً برسالة سيدنا موسى عليه السلام الذى كان موجوداً فى مصر قبل اخناتون. كما يستدل على أن كثيراً من مزامير داود متشابهة تماماً مع أنشودة اخناتون مما يدفعه القول باحتمالية أن يكون اخناتون كان متأثراً بما نادى به موسى وانتقل هذا التأثير بعد ذلك إلى مزامير سيدنا داوود.

كما يسوق مثالا آخر على ذلك متمثلاً فى النصوص الهامة التى انتشرت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة وهى فصول من كتاب الموتى منها ما ذكر فى الفصل الـ ١٢٥ الذى يسمى بالدفاع الإنكارى والذى ينفى فيه المتوفى فى عالم الآخرة اقترافه لجميع أنواع الآثام والمعاصى، ومنها يقول: «أنا لم اقتل، أنا لم أسرق، أنا لم أسبب نزاعاً، أنا لم أكذب، أنا لم أطمع فى أى شىء (يمتلكه الآخرون)، أنا لم أغضب.. أنا لم أقم بالتسلط على الآخرين، أنا لم أكن متكبراً، أنا لم ألعن اسم المعبود، أنا لم أرتكب أية خطيئة».

مثل هذه المعانى يجدها الباحث فى الوصايا العشر لسيدنا موسى (٥) لا تقتل (٦) لا تزن (٧) لا تسرق (٨) لا تشهد على قريبك شهادة زور (٩) لا تشته شيئاً مما لقريبك. وفى نظرى أن مثل هذه الوصايا الأخيرة ليست حكراً على دين معين ولا على طائفة أو مجتمع بعينه بل هى من مكارم الأخلاق التى يدعو إليها كل دين قويم وكل مجتمع سليم. وعلى فرض تسليمنا بأصول الكلمات المذكورة فى اللغة المصرية القديمة فلا يعنى ذلك بالضرورة التسليم بكل ما ذهب إليه الكاتب من فرضيات خصوصاً أنها تجد الكثير مما يعارضها وتفتقر إلى كثير من الأدلة والحيثيات التى تدعمها.

الافتراض الخامس

يقول بأن توت عنخ آمون (صورة: ١١) هو فرعون موسى. ويتزعم هذه الافتراض عالم النفس اليهودى الشهير سيجموند فرويد^(١) الذى كان يقول: إنه قرأ فى علم الآثار أكثر مما قرأ فى التحليل النفسى، حتى إن حجرة الاستشارة الخاصة به كانت متحفاً لآثار جاءت من مصر واليونان وروما والشرقين الأدنى والأقصى. وكان لمصر جاذبية خاصة فى فكر ووجدان فرويد وظل طيلة عمره مبهوراً بكشوف المصريين مثل كشف (قام به فلاحون ريفيون فى ثمانينات القرن التاسع عشر) للوحات وتدية الشكل قادت إلى مزيد من كشف تل العمارنة عام ١٨٩١ ثم إلى إعادة بناء تلك العاصمة المجهولة التى شيدها اخناتون أو أمنحتب الرابع (صورة ١٢) لتحل محل طيبة كعاصمة للإمبراطورية المصرية. وكان من بين ٢٣٠٠ قطعة أثرية جمعها فرويد بنفسه أثناء حياته ٦٠٠ قطعة مصرية مصرية، كما أنه اختار صورة للمعبد الصخرى الكبير الذى شيده رمسيس الثانى فى أبى سنبل ليعلقها فوق سرير الكشف فى عيادته. ورمسيس الثانى هو الفرعون الإمبراطور العظيم الذى شق طريقه محارباً من جنوبي فلسطين حتى سوريا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. واحتفاظه بصورة للمعبد يظهر انشغال فرويد بالماضى السحيق. ولقد ادعى فرويد أيضاً أن موسى مصرى وليس من بنى إسرائيل، وأن الديانة الموسوية مستقاة من عقيدة اخناتون وأن اليهود ألغوا عبادة الشمس من الدين الذى أخذوه عن اخناتون. وكان العنوان الأصلى لكتابه «موسى والتوحيد» Moses and Monotheism هو «الرجل موسى: رواية تاريخية».

The Man Moses: A Historical Novel

ويرى فرويد أن «موسى» كلمة هيروغليفية تعنى «الابن المحبوب» ونجدها فى كلمة «رع موسى» (رمسيس) و«تحوت موسى» (تحتمس). واستنتج من ذلك أن الأمير المصرى قد أزال الصدر الوثنى من اسمه واستبقى العَجْز الذى لا يدل على اسم إله فى ذاته. ويقول فرويد إن موسى المصرى (الضمير - الحضارة - الكبت - التجاوز - التوحيد) حاول أن يُدخل المدنية على العبرانيين الأجلاف بطوائفهم (الليبدو - الحلولية - الوثنية) ولكنه فشل فى ذلك، بل انتهى به الأمر إلى أن قتله العبرانيون. وهكذا انتصرت الوثنية والبربرية على التوحيد. ولكن كما هو الحال دائماً بعد جريمة قتل الأب (أو المعلم الذى يقوم مقامه)

(١) سيجموند فرويد - موسى والتوحيد، ترجمة جورج الطرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.

شعر العبرانيون بالخطيئة والإثم (والرغبة فى التجاوز) فجمعوا بين إلههم الوثنى يهوه وأدوناي/ آتون التوحيدي.

ويدعى أن موسى كان أحد الأمراء المصريين المقربين من اخناتون ولكن لما حدثت الردة بعد اخناتون تم استبعاد موسى ، ولما انهيار أمه فى حكم بلاده أراد أن يوجد لنفسه دوراً ما كزعيم ، فتزعم بنى إسرائيل وأعظاهم ديناً جديداً استقاه من عقيدة اخناتون التوحيدية ، ثم قاد بنى إسرائيل للخروج من مصر خروجاً سلمياً - ليس فيه مطاردة - إلى أرض فلسطين التى كان النفوذ المصرى قد انحسر عنها أيام اخناتون لانشغاله بأفكاره الدينية. وكان الخروج فى عهد توت عنخ آمون، ونجح فى الخروج ببنى إسرائيل من مصر وذلك بأن خادعوا الفرعون وهربوا إلى صحراء سيناء.

ويوافق على هذه الفرضية آرثر ويجال^(١) ويحدد تاريخ الخروج بالعام ١٣٤٦ ق.م ويرى أنه تم فى آخر عهد توت عنخ آمون. ويسير على غرار هذا رأى أحمد عثمان فى كتابه «موسى واخناتون ، التاريخ السرى لمصر فى زمن الخروج»^(٢) وهو الإصدار المعدل لكتابه الأول «موسى فرعون مصر، وكشف غموض اسطورة اخناتون»^(٣)، الذى يرى أن موسى واخناتون ما هما إلا شخصية واحدة. وأن تعاليم موسى عليه السلام ما هى إلا تعاليم اخناتون فى الديانة المصرية القديمة، وتوحيد موسى هو توحيد اخناتون. ويستدل على ذلك بما فى كتاب الموتى والتشابه الواضح بين ما فيه وخاصة فى التعويذة أو الفصل ١٢٥ والوصايا العشر لموسى عليه السلام.

وهذه النظرية أيضاً يدحضها العديد من الحقائق التاريخية منها أنه من الثابت كما فى الكتب المقدسة أن موسى من بنى إسرائيل وليس مصرياً، وإن كان قد تربى فى قصر الفرعون.

كما أن هذه النظرية تتجاهل النصوص الدينية فى القرآن والعهد القديم وتغفل ما نزل ببنى إسرائيل من سوء العذاب على يد الفرعون وملئه ، وهذا لم يرد تاريخياً عن اخناتون أو توت عنخ آمون إذ إن طبيعة اخناتون المسالمة لا تتفق مع ذلك.

(١) آرثر ويجال ، تاريخ مصر القديمة ، باريس ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٦.

(2) Osman, Ahmed, Moses and Akhenaten: The Secret History of Egypt at the Time of the Exodus. London, Paladin, 2002.

(3) Osman. Ahmed. Moses: Pharaoh of Egypt The Mystery of Akhenaten Resolved London, Paladin 1994.

فضلاً عن بُعد مكان إقامتهم في شرق الدلتا عن العاصمة التي عاش فيها اخناتون، طيبة في أول أيامه ثم بعد ذلك في عاصمته الجديدة في تل العمارنة.
كما أن التوحيد الذي نادى به اخناتون يختلف في طبيعته عما كان ينادى به موسى عليه السلام، فتوحيد اخناتون هو توحيد تجسدي وثني وليس التوحيد الخالص الذي دعا إليه أنبياء الله ورسله من قبل موسى ومن بعده. فالتوحيد الذي نادى به موسى في قومه كان عقيدة بنى إسرائيل أخذوها عن يعقوب أبيهم وإبراهيم جددهم عليهم السلام. وتدعى هذه النظرية أن الخروج تم بسلام وبدون مطاردة في حين أن الثابت في الكتب المقدسة أن فرعون الذي طارد موسى قد مات غرقاً، وقد أثبت الفحص الطبى لجثة توت عنخ آمون أنه مات مقتولاً بضربة على الرأس، أو نتيجة لحادثة أدت إلى كسر ساقه وأودت بحياته.

كما لا يعقل أن يخرج بنو إسرائيل من مصر في عهد توت عنخ آمون ويستقروا في فلسطين دون أن يكونوا عرضة لحملات من جاء بعده من الفراعنة مثل «حور محب» و«سيتي الأول» أو «رمسيس الثاني».

وكما يذكر د. رشدي البدراوى^(١) أنه لما رأى فرويد المعارضة الشديدة لنظريته هذه تراجع عنها وقال إنه من المحتمل أن موسى قد عاش في عصر لاحق لاختناتون وتوت عنخ آمون! ويضيف بأن فرويد وهو عالم يهودى كبير بنى رأيه على هدف سياسى مبنياً على أساس أنه ما دام موسى مصرياً فإن لبنى إسرائيل حقوقاً تاريخية في مصر! كما فعل سلفه المؤرخ اليهودى يوسفوس ابن متى عندما زعم أن الهكسوس الذين حكموا مصر هم أنفسهم بنو إسرائيل.

الافتراض السادس

يقول بأن موسى قد عاش وجهر بدعوته ثم خرج من مصر كل ذلك خلال مدة حكم حور محب (صورة ١٣) وأربعة من الفراعنة اللاحقين ليكون فرعون الخروج هو مرنبتاح. والقائل بهذه النظرية هو نيكولاس جريمال^(٢) الذى يقول بأن موسى تربى وتلقى تعليمه في سنواته الأولى في قصر الفرعون «حور محب» و«رمسيس الأول» (صورة رقم ١٤)، ثم

(١) رشدي البدراوى. أستاذ بجامعة القاهرة وباحث وكاتب إسلامى عن كتاب موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟.

(2) Nicholous Grimal, A History of Ancient Egypt. Blackwell. 1994, P 259.

عرف أنه من بنى إسرائيل وانضم إليهم في عهد «سيتي الأول»، ثم فر من مصر إلى مدين بعد مقتل المصري، ثم كان تلقيه الوحي والرسالة والأمر بالعودة إلى مصر في السنوات الأولى من حكم «رمسيس الثاني» (سورة رقم ١٥)، ثم هو يوافق على ما يقوله كثير من المؤرخين من أن فرعون الخروج هو «مرنبتاح».

فلو افترضنا أن حور محب، والذي حكم في المدة بين (١٣٤٨-١٣٢٠ ق.م) أي ٢٨ عاماً، قد تبني موسى في منتصف مدة حكمه ورباه ١٤ عاماً يضاف إليها عامان مدة حكم رمسيس الأول (من ١٣٢٠ - ١٣١٨ ق.م) و ١٤ عاماً مدة حكم سيتي الأول (من ١٣١٨ - ١٣٠٤ ق.م) و ٦٧ عاماً مدة حكم رمسيس الثاني (من ١٣٠٤-١٢٣٧ ق.م) و ١٣ عاماً مدة حكم مرنبتاح (من ١٢٣٦ - ١٢٢٣ ق.م) فيكون مجموع هذه السنوات والتي تعتبر عمر موسى الذي قضاه حتى الخروج ببنى إسرائيل هي ١١٠ أعوام. فإذا أضفنا إليها سنوات التيه الأربعين في سيناء ثم المسيرة حول أرض أدوم لبلغ عمر موسى عند وفاته أكثر من ١٥٠ عاماً في حين أن عمر موسى لم يزيد عن ١٢٠ عاماً.

وبالنسبة إلى هذا الافتراض لا يمكن قبوله نيس لهذا السبب فقط بل العديد من المعارضة التي تثيرها هذه الفرضية.

فكانت الفرضية التي افترضها البعض من أن «يوسف» في مرحلة منه افتراض آخر لأحد «عظماء» و«ثقات» الأسرة الفرعونية العبرانيين «سرى» السبب «سرى للنبي يوسف» والذي يحدث في «سرى» ماويلا لتدعو فآنية وتوراتية ومصادر تاريخية أثرية أن يثبت أن النبي يوسف عليه السلام والوزير «يوسف» وزير الملك تحتمس الرابع (١٤٢٥-١٤١٧ ز) من الأسرة الـ ١٨ هما شخصية واحدة. ليلقى افتراضاً جديداً بأن الصعود المفاجيء للتوحيد ما هو إلا بفعل أخت «يوسف» الملكة «تي» وابنها اخناتون. ويدعى بأن يوسف أو «يوسف» عندما كشف عن هويته لإخوته قال لهم إن الله منَّ عليه وجعله «والد الفرعون» ويذكر أنه خلال العصر الفرعوني الطويل لم يكن هناك شخص يحمل هذا اللقب «والد الفرعون» سوى «يوسف» وزير الملك تحتمس الرابع من الأسرة الـ ١٨. مشيراً إلى أن علماء المصريات ظلوا في حيرة فترة طويلة لكون «يوسف»، وهو «وزير» وليس من البيت الملكي، مدفوناً في وادي الملوك، وأن مومياءه التي عثر عليها في حالة جيدة ذات مظهر وملامح «سامية» واضحة

(1) Osman, Ahmed, The Hebrew Pharaohs of Egypt: The Secret Lineage of the Patriarch Joseph, Bear & Company, London, 2003.

كما أن مظاهر دفنه تبدو مختلفة عن التقاليد المصرية فى الدفن مما يرجح ألا يكون من الدم المصرى. ليخلص من خلال بعض الأدلة التى يسوقها إلى أن الخروج حدث فى عهد الملك رمسيس الأول الملك الأول من الأسرة الـ١٩، وأن حور محب هو الملك الذى اضهد بنى إسرائيل وسامهم سوء العذاب.

بل إن البعض^(١) يذهب أبعد من ذلك حين يقول بأن الشعب المختار أو شعب الخروج لم يكونوا عبيداً فى بلد أجنبى ولكنهم كانوا من كهنة مصريين نوى رتبة عالية ومن المناصرين لإخناتون، وقد تعرضوا للطرده والخروج من مصر إلى المقاطعة المصرية أو الواقعة تحت النفوذ المصرى فى كنعان وأجبروا على ذلك إبان الثورة المضادة بعد موت اخناتون. مثل هذا الرأى والذى يسبقه لا يمكن قبوله وذلك لأنه يتعارض مع كثير من الثوابت فى القرآن والتوراة والمصادر التاريخية والأثرية.

الافتراض السابع

وهذا الافتراض قائم على أساس أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى، فرعون المولد وفرعون الخروج، وأصحاب هذا الرأى كثيرون. ويتفق هذا الرأى مع حقيقة مكان معيشة بنى إسرائيل فى أرض جاسان أو جوشن شرق الدلتا وعاصمة رمسيس الثانى الجديدة فى الشمال التى تتيح التقاط موسى من النهر، كما تحقق تسخير بنى إسرائيل فى بناء مدينتى «بررعسيس» و«فيثوم» المذكورتين فى العهد القديم (سفر الخروج ١ : ١٤). وقد اعترض البعض بأن فرعون موسى ادعى الألوهية فى حين أن رمسيس الثانى كان يؤمن بأربعة آلهة هم «آمون» و«رع» و«بتاح» و«سوتخ»، وسمى فرق جيشه الأربع فى معركة قادش بأسماء هذه الآلهة^(٢). غير أن هذا القول يمكن الرد عليه بأن معركة قادش كانت فى السنة الخامسة من حكم رمسيس الثانى، فى حين أن عودة موسى لمصر كانت فى السنة ٦٢ من الحكم أى بعد معركة قادش بـ٥٧ عاماً وهى فترة طويلة من الحكم المطلق والمديح المستمر من وزرائه ورجال البلاط ومن الشعب، وتمجيد لأفعاله ولا بد أن كل ذلك قد أحدث أثره، وخاصة أنه كان عنده نزعة تعاطفية منذ صغره فكان أن نتج عن ذلك شعور بالكمال ووطن نفسه مخلداً كالألهة وانتهى به الأمر

(1) Messod Sabbah, Roger Sabbah, Secrets of the Exodus: The Egyptian Origins of the Hebrew People, Allworth Press, 2004

(٢) د. محمد وصفى، الارتباط الزمنى والعائدى بين الأنبياء والرسل، ص ١٥٤.

أن ادعى الألوهية.

وهذه حقيقة يمكن الاستدلال عليها مما سجل أو وجد في كثير من المعابد التي بناها. ولهذا فإن هذه النظرية - أن فرعون موسى هو رمسيس الثاني - تتفق وكثير من النقاط التي يجب توفرها في ذلك الفرعون:

١- أنه الفرعون الذى ادعى الألوهية كما جاء فى القرآن الكريم:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَلَهُ الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْرِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ [سورة القصص].
﴿ قَالَ لَيْن أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ [سورة الشعراء].
﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٣١﴾ [سورة النازعات].

وكان تأليه فرعون بعد وفاته أمراً عادياً فى عقيدة القوم، إذ يصير بعد وفاته روحاً وينضم إلى آبائه، ويجوز عندئذ عبادته والتضرع له والتوسل به لقضاء الحاجات. على أن صورة الملك نفسه فى هذه الحالات لا تظهر فى الرسم، بل يستدل عليها من النقوش التى كانت تدون خلف الآلهة وتدل على روح الملك (كا)، وجاء ذلك فى رسوم عديدة على جدران المعابد. إلا أن رمسيس الثانى مضى فى هذا الاتجاه لدرجة أبعد من سابقه. فقد كان شديد الفخر بنفسه لدرجة تقرب من جنون العظمة فلم يكتف بأن يكون ابناً للآلهة مثل الملوك السابقين وحسب بل كان يعد نفسه إليها، فزعم أنه هو نفسه إله وكان هذا سبقاً له. فأقام لنفسه معابد جعل إهداءها لنفسه، والقرايين تقدم فيها لشخصه باعتباره أحد الآلهة وليس بشراً من نسل الآلهة، بل زاد على ذلك وزعم أنه من كبار الآلهة!

وربما يكون لشخصية رمسيس الثانى وإشراك والده له فى الحكم فى سن العاشرة وإعلانه ولياً للعهد فى سن مبكرة، والمديح الذى كان المحيطون به يكيلونه له بلا حساب وفى كل وقت كما يرى البعض، كل هذا خلق فى نفسه شعوراً بالتعظيم. فإذا أضفنا إلى ذلك طول مدة حكمه التى بلغت حتى ذلك الوقت ٦٣ سنة لأدركنا لماذا ظن نفسه إلهاً، فالآلهة هم المخلدون.

وفيما يلى أمثلة على تأليه رمسيس الثانى لنفسه:

● هناك مجموعة من النصب التذكارية فى متحف «هدلسهايم Hildesheim تصور «رمسيس الثانى» كملك مؤله فى شكل تمثال على هيئة إله الحرب «مونت Mont»، وقد

عثر عليها أصلاً فى «هوربيط» وفى «قنطير». والأولى تقع فى شرق الدلتا إلى الغرب من الثانية، وهى المستعمرة العسكرية التى أقامها الرعامسة فى شرق الدلتا، وفيها كان الفرعون الحى المؤله يعبد أيضاً فى شكل إله الحرب الشهير بواسطة جنوده المقيمين فى هذا المركز العسكرى بالقرب من حدود مصر الشرقية.

● وفى معبد «الدر» والذى أقامه «رمسيس الثانى» وأهداه كما فى نص الإهداء إلى والده المعبود «حور آختى»، وفى قاعة الأعمدة المربعة المنحوتة فى الصخر نشاهد على جدارها الخلفى صور الآلهة الذين كانوا يعبدون فى هذا المعبد، وهم «بتاح» و«آمون رع» والمملك «رمسيس الثانى» و«حور آختى». وهكذا كان يؤله رمسيس الثانى فى هذا المعبد أيضاً.

● وفى معبد «جرف حسين» الذى يقع على الضفة اليمنى من النيل الذى سماه مؤسسة رمسيس الثانى «بر بتاح» أى بيت بتاح والذى أقامه «ستاو» حاكم بلاد النوبة فى تلك الفترة باسم رمسيس وأهداه للإله «بتاح» رب «منف» وزوجه «سخمت» وابنه «نفرتم». وفى القاعة العظيمة المنحوتة فى الصخر فى هذا المعبد مُثل على جدرانها رمسيس الثانى بين «آمون رع» و «موت»، وبين «حور» سيد كوبان و «حور» رب بوهن، وبين «بتاح تنن» والبقرة «حتحور»، وبين «بتاح» و «سخمت»، وكذلك نشاهده بين «خنوم» و «عنقت»، وبين «نفرتم» و «ساتت»، وفى قاعة أخرى مثل فيها الفرعون أمام آلهة أخرى وكان فيها مؤلهاً أيضاً.

● فى معابد بلاد النوبة يظهر رمسيس الثانى مؤلهاً فى صورة إله كأى إله آخر وليس فى صورة تمثال. فمثلاً فى معبد أبى سمبل فى قدس الأقداس الذى يحتوى على قاعة منحوتة فى الصخر ليوضح عليها القارب المقدس، وخلفها نشاهد تماثيل الآلهة الأربعة الذين يقدرسون فى هذا المعبد وهم : «بتاح» و «آمون» و «رمسيس الثانى» فى صورة إله ثم «حور آختى»، صورة (١٧).

● كما تظهر بنفس المعبد صورة رمسيس الثانى مؤلها برأس صقر. أى إنه فى هذه الحالة يمثل إله الشمس، ومكتوبا بجوارها: (رمسيس الإله الأكبر) ويظهر فى رسم آخر فى صورة إنسان ولكن على رأسه قرص الشمس ومكتوبا تحتها (رمسيس الإله الأكبر رب السماء).

● ومنظر ثان يظهر فيه رمسيس الثانى وفى يده السيف ممتطياً عربته ومعه جيش يسير فى ركابه وبجانبه جواده، وأسده الأليف يتبعه، وسبقه صفان من الأسرى السود مكبلين فى الأغلال، والمتن المفسر لهذا المنظر يقول: «الإله الطيب يضرب الجنوب ويحطم

الشمال، والملك المحارب بسيفه، والطارد إلى أبعد مدى أولئك الذين يتعدون أماكنه الحصينة.....».

● وفي منظر ثالث نشاهد رمسيس وبيده القوس يقود صفين من الأسرى السود يقدمهم إلى ثالوث طيبة وهم آمون وموت وابنه «خنسو»، وقد كتب المتن التالي فوق صورة رمسيس والأسرى السود: «إحضار الجزية بواسطة الإله الطيب لوالده آمون رع رب طيبة...».

● وفي معبد أكشة ببلاد النوبة مثل في صورة إنسان ولكن الكتابة بجواره تقول «وسر ما عت رع ستبن رع (اسم رمسيس الثاني) الإله الأعظم رب النوبة».

● وفي معبد «سره» وقد أقامه رمسيس الثاني في جنوب بلدة «سره» على الضفة اليمنى للنيل على مسافة عشرة أميال شمال حلفا، وجد نقش مكرر على أحد الأبواب يقول: الباب العظيم للفرعون «وسر ماعت رع ستبن رع» قد عمله بمثابة أثر لصورته الحية في بلاد النوبة، واسمه الجميل الذى وضعه جلالته هو «وسر ماعت رع» سام في قوته» ومن ذلك نعلم أن رمسيس الثاني كان نفسه رب هذا المعبد.

● وفي قاعة الأعمدة الرئيسية بمعبد الكرنك: ومن بين النقوش التى تخلد نص الإهداء الذى ينسب فيه رمسيس هذه القاعة لنفسه: نجد نقشاً مكتوباً فى النهاية: يعيش الإله الطيب الذى يقيم آثاراً لوالده «آمون رع».

● وفى زيارة لمعبد الكرنك لفت نظرى وجود نقش مكرر على جميع إحدى صالات الأعمدة (صورة ١٨)، فسألت عن معنى هذا النقش فكانت الإجابة أنه يعنى بالهيراوغليفية (نب ريخيت دوا رع مسس، أوسر ماعت رع) فكانت ترجمته «كل الناس أو كل الشعب (أى الشعب المصرى) يتعبد إلى رمسيس الثانى».

ويدل ما بقى من نقوش وآثار فى معبد «رمسيس الثانى» الذى أقامه بالعرابة على أنه رفع بنيانه فى هذه البقعة المقدسة لعبادة والده «أوزير» وعبادته هو بوصفه إلهاً.

● وفى أحد المنحوتات الجدارية بالمتحف المصرى بتورين بإيطاليا نراه صور نفسه واضعاً على رأسه الرمز الإلهى ويجلس بين الإله (آمون) والإلهة (موت) ويداه متشابكتان معهما، صورة (١٩).

● نقش على تمثال لابنه الأمير «خع ام واس» وهو موجود بالمتحف البريطانى بلندن ويمثله واقفاً يمسك بعلمين فى يده اليمنى ويده اليسرى. ولقد نقش على العلم الذى باليد اليمنى «الإله الطيب، رب الأرضين «وسر ماعت ستبن رع» محبوب التاسوعين للذين فى العرابة.

● وهناك لوحة للوزير «رع حتب» وزير رمسيس الثانى محفوظة الآن فى متحف ميونخ تمثل الوزير يتجه نحو تمثال رمسيس الثانى ويقول: الصلاة لروحك (أى تمثال رمسيس الثانى) الإله الأكبر الذى يسمع.... الرجال، ليته يعطى الحياة والصحة والفظنة والمديح و.... إلى الأمير الورائى وحامل المروحة على يمين الفرعون، وعمدة المدينة، الوزير «رع حتب» فى «برعمسيس» محبوب «آمون». ولقد نقش على هذا التمثال «رمسيس حاكم الحكام، والإله الأكبر وسيد السماء مخلداً». وهذا يدل على أن الوزير فى هذه اللوحة كان يتعبد لرمسيس الثانى كما يتعبد أى موظف لأى إله. وفى الجزء الأعلى من نفس اللوحة نشاهد رمسيس الثانى يقدم البخور ويصب الماء لتمثاله. وفى هذا دليل على عبادة رمسيس الثانى لنفسه بوصفه إلهاً مدة حياته والحث على هذه العبادة فى صورة تمثاله كالتماثيل التى كانت تنحت للآلهة.

● وما هو موجود بمعبد «السبوعة» والذى سُمى بهذا الاسم لأن الردهة الرئيسية للمعبد يحتل المر بها ستة تماثيل «أبو الهول» فى صورة أسد يرتدى كل منها التاج المزدوج. ويقع هذا المعبد على الضفة الغربية للنيل، ويسمى بالمصرية «بر آمون» أى بيت آمون. وقد أهده رمسيس الثانى لكل من الإله «آمون» وإله الشمس «رع حور أختى»، وكان رمسيس ضمن الآلهة الذين كانوا يعبدون فيه. وفى قاعة جانبية لقدس الأقداس مثل على جدرانها الفرعون مع آلهة متعددة، ولكن ما يلفت النظر فى هذه النقوش صورة رمسيس الثانى يقدم قرباناً لصورته هو (أى أن رمسيس الثانى كان بتعبد لتمثاله).

● وجد جعل منقوشاً عليه «ليت الشمس» «وسر ماعت ستين رع» (اسم من أسماء رمسيس الثانى) يفلح أرواح كل الأرض» وقد استعمل لفظة الشمس فى هذه الحالة لتعبر عنه.

● وفى نقوش جبل السلسلة رسم لوزير يصلى لروح الإله (بتاح) ويرى الملك رمسيس الثانى واقفاً بين الوزير المتضرع والإله بتاح. بما يفهم منه أن الملك كإله حى ينقل التضرع إلى الإله بتاح. وقد كتب تحت رسم الملك: الإله الطيب (رمسيس الثانى) ابن الإله (بتاح). ومن هذه الأمثلة نستدل على أن رمسيس الثانى قد أله نفسه أثناء حياته مختلفاً فى ذلك عن كل من سبقه أو لحقه من الفراعنة فى ذلك مما قد يرجح أن يكون فرعون موسى هو رمسيس الثانى.

٢- أنه الفرعون الذى كان وزيره وكبير مستشاريه يدعى «هامان».

وتذهب كثير من التفاسير إلى أن هامان هذا كان وزيراً للفرعون، وإن لم يكن فقد يكون

مستشاراً خاصاً له أو رجلاً مقرباً من البيت الملكي^(١). ويرى آخرون أن هذا الاسم - لورد إلى أصله بغير تصحيف - نجده من الأسماء المصرية التي كانت شائعة في ذلك الزمان وهو حورمين أو حارمين. وقد عرف بهذا الاسم رجل من عهد سيتي الأول وآخر من عهد ابنه رمسيس الثاني. كان أولهما كاتب الملك وحامل الأختام والمشرف على حريم الملك، وكان ثانيهما كاتب القصر أو بلغتنا الحديثة رئيس الديوان الملكي أو كبير الأمراء^(٢)، وربما كان مدير قطاع المباني في حاشية فرعون. كما أدرج اسم هامان تحت وظيفة رئيس عمال مناجم الأحجار وذلك في نقش على لوح حجري محفوظ بمتحف فيينا بالنمسا^(٣). وقد كلف هذا الوزير ببناء صرح من الطين المحروق للفرعون كما ذكر القرآن:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِيَّ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ [سورة غافر].
﴿ فَأَوْفِدِي بِنَهْمَكُنِّي عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلْهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة القصص].

ومما يذكر أن المباني - حتى ذلك الوقت - كانت تقام من الطوب اللبن غير المحروق أو الحجارة. فكانت كل المدن مبنية بالطوب اللبن ما عدا المعابد والقصور فكانت من الحجر، والذي كانت أنواعه متعددة ما بين الحجر الجيري الأبيض الناصع وغير الناصع، والحجر الرملي الأحمر والأصفر، والحجر الجرانيتي الوردي والأسود، والبازلت الأسود، والرخام والمرمر وغيرها، هذا بالإضافة إلى وفرته في محاجر مصر المختلفة. ومن الملفت للنظر أن المصريين القدماء لم يتخذوا الآجر المحروق في البناء قبل العصر الروماني، وقد أول البعض من المفسرين أمر فرعون إلى هامان أنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة.

ويمكن القول بعبارة أخرى أن البناء بالآجر قد كان يومئذ في بدايات استعماله. ففي أواخر عهد رمسيس الثاني تم اكتشاف أن حرق اللبن يجعله أكثر صلابة وأطول عمراً، ولا توجد آثار بنيت بالطوب الأحمر قبل عصر رمسيس الثاني. فقد عثر (بتري) - عالم

(١) تفسير القرطبي، تفسير الجلالين، تفسير بن كثير.

(٢) سليم حسن، مصر القديمة، ج ٦، ص ١٦٨، ٥٦٠.

(٣) أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، ٢٠٠١، ص ١٠٤.

(٤) د. عبد الصبور شاهين وإصلاح عبد السلام الرفاعي، مصر قبل الإسلام الدين والنسب، دار الزهراء، ٢٠٠٠. ص

الآثار - على عدد من الطوب المحروق بنيت به قبور وأقيمت به بعض أساسات المنشآت ترجع إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة، عصر رمسيس الثانى ومرنبتاح وسيتى الثانى، عثر عليها فى نبيشة ودفنة غير بعيدة عن عاصمتهم مدينة قنتير أو برعمسيس شرق الدلتا، وقال فلندرز بترى فى ذلك: «إن حرق اللين قد ظل نادراً حتى عصر الرومان»^(١).

ولعل السرد القرآنى لبناء الصرح فى سورة القصص، والنص على طريقة صنع الآجر بحرق الطين فيه إشارة إلى أن الفرعون الذى عاصر موسى عليه السلام هو أول من اكتشف هذه الطريقة ويكون ذلك دليلاً آخر على أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى. وهكذا قال رمسيس الثانى لوزيره هامان أن يبني له برجاً عالياً حتى يرى الإله الذى يقول موسى إنه إله وإله العالمين، وقال له إنه يعتقد أنه لو فعل ذلك فلن يجد شيئاً لأنه يظن موسى كاذباً فى قوله:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كُذَّابًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة غافر].

وقالوا إنه وقد وصل إلى هذه النتيجة فإن الصرح لم يبن، وهذا ما نعتقده، إذ إن أى بناء فى عصرنا الحالى يبنى بالطوب والإسمنت - حوائط حاملة - أى بدون أعمدة خرسانية لا يجب أن يزيد عن ٦ أو ٧ طوابق على الأكثر أى ٢١ متراً فهو لن يكون مرتفعاً بالنسبة لبعض المسلات التى كانت تبلغ ٢٩ متراً أو تمثاله الذى وجدت بقاياها فى سان الحجر (تانيس) والذى كان يبلغ ارتفاعه ٢٨ متراً والمعروض الآن بمتحف ميث رهينة (صورة ٢٠). وكان الطين هو المادة اللاصقة فى المباني، فلا يزيد ارتفاعه بالطوب الأحمر والطين عن ٥ طوابق أى ١٥ متراً فلا يعتبر بناء هائلاً يقنع الناس بعدم وجود إله إذا صعد عليه. وقيل إنه بنى فعلاً بناء عالياً وصعد عليه ثم نزل فقال للناس، لم أجد الإله الذى يقول به موسى، وقال لهم ما علمت لكم من إله غيرى.

٣ - أنه الفرعون الطاغى المستعلى المتكبر كما ذكر القرآن

﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة طه].

﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة طه].

(١) د. محمد بيومى مهران، دراسات تاريخية فى القرآن الكريم، ج ٢، ص ٣٢٥.

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخِ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة القصص].

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ
لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ [سورة يونس].

﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ [سورة الدخان].
﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ [سورة غافر].

وإنه الفرعون الذى أذاق بنى إسرائيل العذاب واستعبدهم وقتل ابناءهم واستحى نساءهم.
وهو ما يثبت فى القرآن كما يشير القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخِ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ [سورة القصص].

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكَ وَمَنْ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ
وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ [سورة البقرة].

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَّكَ قَالَ سَنُقَدِّلُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٢٧﴾ [سورة الأعراف].

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ
وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٥٥﴾ [سورة غافر].

وكما ورد أيضاً فى العهد القديم فى سفر التكوين (١٥ : ١٣) إذ ذكر كنبوءة لإبراهيم
عليه السلام :

«فقال لإبراهيم: اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً فى أرض ليست لهم ويُستعبدون لهم
فيذلونهم أربعة مائة سنة». كما ذكر عدة مرات فى سفر الخروج: «فاستعبد المصريون بنى
إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل،
كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً» (خروج ١ : ١٤).

«وتنهذ بنو إسرائيل من العبودية» (خروج ٢ : ٢٣).

وكما يرجح الكثيرون أن موسى عليه السلام قد ولد فى عهد رمسيس الثانى والذى قد

تورط في سياسة من القتل وسفك الدماء. ففي ربيع عام ١٢٨٧ ق.م كانت معركة قادش مع الحيثيين أو الخيبيين في سوريا، والتي كانت بدايتها في غير صالح رمسيس الثاني فقد تعرض لخدعة كان بطلاها جوسيين من «الشاسو» أي البدو.

فقد زحف رمسيس الثاني بجيشه حتى إذا بلغ بلدة شابتوتا (ربلة الحالية) على نهر الأورنت (نهر العاصي) وعسكر على ربوة تشرف على الوادي الفسيح التي تقع مدينة قادش في شماله. دخل معسكره اثنان ادعيا أنهما يتكلمان باسم إخوانهم رؤساء قبائل البدو وأنهم يعرضون الولاء والتحالف مع مصر بدلاً من الاستعباد الحيثي. وأخبراً المصريين بأن حاكم خيتي ما إن سمع بمقدم فرعون حتى ارتعد وتقهقر بجيوشه إلى ما حول حلب في الشمال. فعبّر رمسيس الثاني نهر العاصي ثم سار إلى مرتفع شمال غربي قادش وأقام معسكره هناك في انتظار وصول باقي فيالق الجيش ليتابع السير في أثر جيش «خيتا» الذي كان يظن أنه في الشمال حسبما أخبره الجاسوسان. وهنا أكتشف أنه وقع فريسة لخدعة كبيرة، فقد وقع في أيدي فرق استطلاع جنديان من جيش العدو كانا في مهمة لاستكشاف موقع جيش المصريين وعدده.

وبتعمديهما اعترفا أن جيش الحيثيين في مكان شرقي قادش وهو في طريقه ليعبر نهر العاصي، وأن الجاسوسيين كانا خدعة من ملك خيتا. وأدرك رمسيس الثاني هول الكارثة المتوقعة، وراح يوبخ ضباطه على إهمال فرق الاستطلاع. وأعاد ترتيب الفيلق الذي يرأسه (وهو فيلق «ست» من مدينته (برعمسيس) استعداداً لهجوم العدو، كما أرسل الرسل على عجل إلى بقية فيالق جيشه ليسرعوا السير، وهم فيلق «بتاح» الذي كان جنده من منف ومصر الوسطى، وفيلق «آمون» وجنده من طيبة. وفي هذه الأثناء كان نصف الجيش الحيثي قد عبر مخاضة نهر العاصي وهاجم الفيلق الموجود هناك وهو فيلق رع بينما الجنود يسرون في استرخاء غير متوقعين القتال، وتشنت الفيلق ودمر تماماً، ثم تابع جيش «خيتا» تقدمه حتى أصبح في مواجهة فيلق آمون، وبدأ في مهاجمته ورأى جنود فيلق آمون بقايا الجنود من فيلق رع يجرون مذعورين تتبعم عاصفة التراب التي تثيرها عربات العدو وهي تلاحقهم فدب الذعر في قلوبهم ولم يدروا ماذا يفعلون حتى أحاط جنود العدو بهم. ثم اندفعت فرقة من جنود العدو تهاجم الجناح الغربي من الفيلق، وهنا أظهر رمسيس الثاني شجاعة فائقة، إذا اندفع على عربته وقاتل الفرقة المهاجمة بشراسة اليأس والغضب من تخاذل قواته. وبهت ضباط الفرقة المهاجمة من هذه الشجاعة وقدروا أن كل جنوده

سيحاريون مثله فضعت عزيمتهم وارتبكوا. وفي نفس هذه اللحظة كان فريق الفتوة (وهم الفيلق الذى اختاره رمسيس ليحمى ظهره) قد وصل من الغرب وبدأ فى مهاجمة العدو من الخلف. وظن الحيثيون أن فريق الفتوة هذا مقدمة جيش كبير فتخاذلوا فى القتال كما أن الغبار الذى كان يثيره فيلق «بتاح» بدأ يظهر فى الأفق من ناحية الجنوب. وشد رمسيس الثانى عليهم القتال ففروا هاربين عبر النهر يلقون أنفسهم فيه طلباً للنجاة، ووصل فيلق «بتاح» أرض المعركة وبدأ يشترك فى المطاردة وفى جمع الأسرى.

وذهل ملك «خيتا» لما آلت إليه نتيجة المعركة مع أن جزءاً كبيراً من جيشه كان لا يزال فى الشرق ولم يشترك فى المعركة ولو تقدم واشترك فيها لكان النصر حليفه، ولكن ملك «خيتا» ارتد بباقي جيشه لما رأى فرار جنوده وأرسل يطلب وقف القتال والصلح وكان التعب قد حل بجيش رمسيس أيضاً فقبل الصلح.

ولا شك أن رمسيس الثانى بعد المعركة قد شعر بأنه قد تعرض لخدعة كبرى كادت أن تكلفه حياته، وقد كلفته فيلقاً كاملاً من جيشه وهو فيلق «رع» بأكمله. كما فقد فيلق «آمون» عدداً كبيراً من الجنود، ولم يتمكن رمسيس الثانى من النصر الذى كان يرجوه، وكل ما حصل عليه هو وقف القتال وبقاء الحال كما هو. إذ لم يتمكن من الاستيلاء على قادش ولا على أرض أمورو. ولعله فى قرارة نفسه أضر أن يحقق ذلك فى معركة أخرى فى المستقبل، وبدأت مسيرة العودة إلى أرض الوطن. وأخيراً وصل فى عربته اللامعة يتبعه طابور طويل من الأسرى ليدخل السرور على شعبه! وهناك جزء من نقش جدارى بالمتحف المصرى بالقاهرة يصور رمسيس الثانى وهو يأخذ بزمام أسرى من أجناس مختلفة يهيم بقتلهم ببطلته (صورة ٢١).

ويرى البعض أن الخدعة التى سلبت الفرعون انتصاره فى معركة قادش كان لها صلة ببنى إسرائيل، وأن جنود رمسيس الثانى - بعد المعركة - أخذوا الأسيرين اللذين خدعا الفرعون وضربوهما كما هو مسجل بالصورة على الآثار، ولعل الأسيرين اعترفا بأنهما من (العبيرو) وأنهما فعلا ذلك بتدبير من العبيرو الذين كانوا فيما يبدو طائفة من طوائف اليهود. و«العبيرو» أو «الخبيرو» لم يكونوا طائفة لها لغتها الخاصة أو جنسيتها الخاصة، بل كانوا على ما يظهر قوماً رحل يتألفون من سلالات مختلفة ويحمل معظمهم أسماء سامية.

ويذكر سليم حسن^(١) أنه من الصعب أن يضع الإنسان تعريفاً يحدد به هذه الطائفة قبل رقيهم فيما بعد ووصولهم إلى مرتبة طائفة قومية هي طائفة اليهود. ولا ننس أن إبراهيم عليه السلام وهو جد اليهود هو «هاعبرى» أى البدوى.

وكانت الكتابات المصرية تشير إليهم بوصفهم (العابيرو فى أرض كنعان). ثم أصبح بعد ذلك لفظ (العابيرو) يطلق على بنى إسرائيل المقيمين بمصر أيضاً. وقد عثر على خطاب من رئيس عمال يقول فيه: «لقد أرسلت الطعام (للعابيرو) الذين يسحبون الأحجار للصرح العظيم لمعبد رمسيس محبوب آمون».

كذلك فإن الحرص على تسجيل ضرب الأسيرين بالصورة على جدران معبد أبى سمبل يمكن أن يكون له دلالة غير مجرد تسجيل الواقعة، ففى كل الحروب يوجد جواسيس. كما كان الأليق أن تخفى واقعة خداع الفرعون لا أن تعلن على الملأ هكذا، إلا أن تكون رسالة موجهة إلى المصريين لأخذ جانب الحذر من (العابيرو) المقيمين بمصر وهم بنو إسرائيل. ولو نظرنا إلى ما رُكِبَ فى بنى إسرائيل من ميل إلى العزلة وكراهية الاختلاط مما قد يحجب نفوسهم وولاءهم عن ذلك البلد الذى آواهم وأطعمهم، أو النظر إلى ما طبعوا عليه من المكر والدهاء والسعى إلى المصلحة غير النزوية، وتطلعهم إلى الخروج من مصر إلى (الأرض الموعودة)، ونبحث كيف يمكنهم تحقيق ذلك، فليس عندهم الأسلحة ولا الجند المدرب الذى يمكنهم من اقتحام الأرض وإخراجها من دائرة النفوذ المصرى، لوجدنا أنه ليس أمامهم إلا صفقة يعقدونها مع ملك «خيتا» بأن يساعده على هزيمة الجيش المصرى، فينحسر نفوذ مصر عن فلسطين، وتعطى لهم بذلك الأرض الموعودة وتخلص الشام والساحل الفينيقي وأرض أمورو لملك «خيتا».

ويمكن أيضاً الاستدلال على ذلك أيضاً من الإشارة التى ساقها العهد القديم فى سفر الخروج (١: ٧-١٠) على لسان فرعون:

«هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا، هلم نحتال لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض».

ولعل رمسيس الثانى قد توصل إلى هذا الاستنتاج وشعر أنه قد طعن فى ظهره ممن آوتهم مصر وأطعمتهم وأكرمتهم على مدى عدة قرون، ومن هذا كان سوء العذاب الذى صبه فرعون دونما رحمة أو شفقة على بنى إسرائيل. ولم يكتف بإنزال العذاب بهم بل وضع خطة

(١) سليم حسن، مصر القديمة، ج ٤، ص ١٩٦.

لاستئصال شأفتهم، فأعطى الأوامر إلى قتلهم عاماً وتركهم عاماً فيقل عددهم فلا يخشى بأسهم، وفي نفس الوقت تبقى المنفعة من تسخيرهم في أعمال البناء، كما أشار إلى ذلك سفر الخروج (١ : ١١ - ١٤) :

«فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينة مخازن فيثوم ورمسيس، ولكن بحسبما أذلّوهم هكذا نموا وامتدوا فاخترشوا من بنى إسرائيل فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية فى الطين واللبن، وفى كل عمل فى الحقل، كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً.»
من هنا كان تسخير بنى إسرائيل فى أعمال البناء والأعمال الشاقة وتكبره واستعلاؤه عليهم.

كما يمكن القول بأن تعذيب بنى إسرائيل وتسخيرهم وما يفترض من شدته على عهد رمسيس الثانى ومن بعده، ربما يكون له علاقة بكثرة ما قام به من معابد ومنشآت ومدن وقصور وقبور مقارنة بقلّة ما قام به خلفاؤه، حيث وجد فى بنى إسرائيل (كما نفهم من سفر الخروج ٥ : ٦ - ١٨) وغيرهم من الأسرى الأيدى العاملة والقوى البشرية التى تساعده على تنفيذ ما يصبو إليه، والتى تحتمل عن المصريين الأعمال الدنيا والأعباء الثقيلة من اقتطاع الحجر وضرب اللبن ونقله إلى موضعه من البناء.

وتذكر بردية ترجع إلى عهد رمسيس الثانى بمتحف ليدن بهولندا أنه استخدم بإشراف الشرطة فى جر الحجر لبناء صرح ضخم فى معبد له طائفة سميت «عبر» والتى تقترب فى منطوقها من العبرانيين أو أنه العبيرو تلك الطائفة التى تنسب إلى العبرانيين، وإن تردد بعض العلماء فى القطع بانتساب أولئك إلى هؤلاء.

٤ - أنه الفرعون صاحب الأوتاد، فهو الفرعون الذى وصفه الله تعالى بأنه :

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة ص].

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الفجر].

وهو وصف يوحى فى النفس بإحساس الهول والشموخ لما يحمله لفظ الأوتاد من دلالة على الجبال الشاهقة كما ورد فى ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [سورة النبأ] وقد ينسحب هذا على الصروح الراسية والمعابد الشاهقة والأعمدة الضخمة والمسلات العالية المدببة التى إذا نظرنا إلى إحداها وهى مقلوبة لوجدناها أقرب ما تكون إلى شكل الوتد. ولو شمل مُلك

فرعون أرض مصر بما عليها ﴿الْيَسَّ لِي مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ﴾ [سورة الزخرف] لأدخلنا الأهرام وهي كالجبال في علوها فيما يوصف على الأسلوب القرآني بالأوتاد. وأوتاد جمع وتد، وهو ما يثبت في الأرض أو الحائط من خشب ينتهي بطرف مدبب^(١).

وإن كان ثمة خلاف عند أهل التأويل في معنى الأوتاد هذه، فمنهم من يرى في الأوتاد أنهم الجنود الذين يشدون له أمره ويقوون ملكه أي فرعون ذو الجنود، أو مجاز للزوم الأوتاد لخيام الجند^(٢). ولقد كان لرمسيس الثاني أجناد كثيرون خاض بهم مع المشرق حروباً وحافظ بهم على إمبراطورية عظيمة امتدت من الفرات في أقصى الشمال إلى الشلال الرابع على النيل في أقصى الجنوب، واستغلهم في حملاته التأديبية الكثيرة للوبيين في الغرب.

أو هي أوتاد حقيقية من خشب وحديد كانت تستخدم في التعذيب مثلما فعل مع امرأته آسية وماشطة ابنته، فكان يشد المعدب بضرب وتد في كل من أطرافه الأربعة في الأرض، يدقها في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات، ويتركه حتى يموت، وقيل ترفع صخرة فتلقى عليه فيموت^(٣). غير أنه لم يسجل عن المصريين مثل هذه الوسيلة من التعذيب وإنما كان الضرب بالعصا هو وسيلة التعذيب البسيط أما القتل فكان يتم ببلمة الحرب أو بالخوزقة.

أو أن هذه الأوتاد كانت بنايات ضخمة كان يعذب الناس فيها^(٤). وقيل^(٥) إن القرآن الكريم شبه فرعون هنا في ثبات ملكه ورسوخ سلطته ببيت ثابت أقيم عماده وتثبتت أوتاده، على سبيل الاستعارة وكما قال الشاعر العربي الأعشى:

والبيت لا يبني إلا على عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد.

وإذا أخذنا بأن هذه الأوتاد يعنى بها الأعمدة الشاهقة في هذه الحالة نجد أن رمسيس الثاني، كما يذكر د. رشدي البدراوى، كان أكثر الفراعنة إقامة للأعمدة.

(١) المعجم الوسيط ج ٢ ، ص ١٠٢٠ .

(٢) تفسير الطبرى

(٣) ابن كثير، والقرطبي.

(٤) تفسير الجلالين.

(٥) تفسير الألوسى.

ففى معبد سبىتى الأول فى أبىدوس والذى كان رمسىس الثانى قد بدأ بناءه فى صباه عندما أوكل إليه والده إقامة المنشآت والمبانى وهو فى سن العاشرة، ثم أكمل بناءه بعد أن تولى الحكم منفرداً. نرى أن المعبد به ما لا يقل عن ١١٢ عموداً. وبمعبد رمسىس الثانى فى أبىدوس ٥٠ عموداً. وفى معبد الأقصر الذى بدأه أمنحتب الثالث وأضاف إليه رمسىس الثانى فناءين بهما عدد كبير من الأعمدة يصل إلى ٩٠ عموداً (صورة ٢٢).

وفى قاعة الأعمدة بالكرنك (صورة ٢٣): قام رمسىس الثانى بإقامة معظمها، وبها ١٢٤ عموداً مرتبة فى ١٦ صفاً وتشغل مساحة ٥٠٠ متر مربع.

ويضيف أنه إذا أخذنا بهذا التفسير - وهو أن الأوتاد تعنى الأعمدة - لكان رمسىس الثانى هو صاحب أكبر عدد من الأعمدة فى المبانى التى أقامها. إلا إنه يرى أنه لو كان المقصود بالأوتاد أنها الأعمدة لذكرها القرآن بذلك، فقد سبق ذكر وصف المدينة التى أقيمت فى أرض عاد قوم هود بذات العماد أى ذات الأبنية المرفوعة على العمود وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الفجر].

فلو كان المقصود هو الأعمدة لقليل: وفرعون ذى العماد أو صاحب العماد تمشياً مع وحدة الاسم إذا توحد المعنى، وإن كانت بعض التفاسير تقول بأنه المقصود بالعماد وقيل معنى ذات العماد ذات الطول.

ولو كان المقصود بالأوتاد البنايات الضخمة والصروح العالية فسنجد أن رمسىس الثانى أيضاً هو صاحب أكثر الصروح والمبانى.

فقد كان رمسىس الثانى أعظم ملك أقام مبانى من حيث الضخامة والروعة. ويذكر سليم حسن^(١) أنه ليس من المبالغة أو الإسراف القول بأنه لا يكاد يوجد مبنى أثرى فى البلاد من الشلال الثانى حتى مصب النيل إلا عليه اسم رمسىس الثانى يضاف إلى ذلك المبانى والآثار التى خلفها فى «فلسطين» وغيرها من البلاد التى فتحها فى آسيا.

وعلى الرغم من أنه قد جار على أسلافه كثيراً باغتصاب كثير من آثارهم ونسبتهما إلى نفسه مدة حكمه الطويل الذى قارب السبعة والستين عاماً، فإننا لو تفحصنا كل الآثار التى تنسب إليه وحده لوجدناه على الرغم من ذلك أعظم الفراعنة المشيدين للآثار فى مصر

(١) سليم حسن، مصر القديمة، ج ٦، ص ٣٣٣.

وغيرها من أملاك الإمبراطورية فى آسيا وبلاد النوبة.

أو أن هذه الأوتاد قد يراد بها تلك المسلات المرتفعة الباسقة ذات الطرف العلوى المدبب (صورة ٢٤) والتي نحتت من كتلة واحدة من الصخر والتي إن قلبت تشابهت إلى حد كبير مع ذلك الوتد الشائع استخدامه لتثبيت أركان الخيام وهو ما يذكره د. رشدى البدراوى ونميل إليه. وعدد المسلات التى أقيمت قبل عصر رمسيس الثانى تبلغ حوالى ٣٠-٣٢ مسلة وكانت كالتالى:

سنوسرت الأول: ٢ مسلة، تحتمس الأول: ٢ مسلة، حتشبسوت: ٦ مسلات، تحتمس الثالث: ٩ مسلات، أمنحتب الثالث: ٢ أو ٦ مسلات، اخناتون: واحدة أو لا شىء، حورمحب: مسلات صغيرة، سيتى الأول: ٢ مسلة. فى حين أن رمسيس الثانى وحده أقام ما لا يقل عن ٣٥ مسلة. فى هليوبوليس: أقام ٤ مسلات على الأقل ثلاث نقلت إلى روما والرابعة إلى فلورنسا.

وفى حطام أتريب (بنها) وجدت بقايا مسلتين وقاعدتهما، وكانت أجزاء بعض المسلات قد استعملت فى بعض المباني، ونقلت قاعدة إحدى المسلات إلى متحف برلين والثانية موجودة بالمتحف المصرى.

وفى تانيس: توجد أجزاء من ٢٣ مسلة محفور عليها اسم رمسيس الثانى كانت كلها فى المعبد الكبير عبارة عن خمسة أزواج (١٠ مسلات) و ١٣ مسلة فرادى وإحدى هذه المسلات كانت سليمة وهى التى نقلت إلى القاهرة وأقيمت فى جزيرة الزمالك بجوار برج القاهرة.

وفى الأقصر أطول مسلات رمسيس الثانى فى الجزء الذى أضافه إلى معبد الأقصر أقام مسلتين إحداهما نقلت إلى باريس والثانية لا تزال باقية فى مكانها إلى اليوم، ولعلها هى المسلة الوحيدة المقامة فى مكانها منذ عهد رمسيس الثانى إلى اليوم (صورة ٢٥). وكل من هاتين المسلتين كان يبلغ ارتفاعهما ٢٥ متراً، وهى على ذلك تعتبر من أطول المسلات. وتوجد بقايا عدد من المسلات فى الكرنك كلها محطمة وتوجد قاعدة مسلتين عند البوابة الشرقية بالإضافة إلى أجزاء من مسلات أخرى.

وفى أبى سمبل: أقام فى المعبد مسلتين: الشرقية عليها نقوش تُمثل رمسيس الثانى بتعبد إلى «حور اختى» والغربية تصف الملك بأنه (محبوب آمون).

ويتضح لنا أن رمسيس الثانى هو صاحب أكبر عدد من الأوتاد وبذلك ينطبق عليه الوصف

الذى أطلقه القرآن الكريم على فرعون موسى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [سورة ص]. وهذا يضيف برهاناً آخر على أن رمسيس الثانى هو فرعون موسى.

٥- أن الله دمر ما كان يصنع وما كان يعرش

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَنِي بَنرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف]. فكلمة يعرشون تعنى أعمدة عليها

عريشة، والعريش ما يُستظل به^(١)، وكما سبق ذكره كان رمسيس الثانى أكثر الفراعنة رغبة فى تخليد اسمه وذكره فأقام هذا العدد الهائل من معابد بها مئات الأعمدة، وأقام من المسلات عدداً يفوق ما أقامه الفراعنة الآخرون مجتمعين وصنع لنفسه عدداً كبيراً (حوالى ١٠٠) من التماثيل. منها حوالى ٣٠ بالغة الضخامة منها تماثيله الضخمة بأبى سمبل (صورة ٢٦) ومنها تماثله الضخم من الحجر الجيرى بمنف و يبلغ طوله ١٣ متراً ولا يزال فى الموضع الذى أقيم فيه، وتماثله الآخر الذى أقامه أحد ضباط ثورة يوليو عبد اللطيف البغدادى فى ميدان محطة مصر بالقاهرة والذى سمي الميدان باسمه فيما بعد (ميدان رمسيس) ثم انتقل أخيراً ليكون فى المتحف المصرى الجديد المزمع إنشاؤه بالقرب من الهرم.

ولا ينافس رمسيس الثانى فى ضخامة تماثيله من ملوك مصر القدماء سوى أمحتب الثالث كما فى تماثلى ممنون وتماثله الضخم بالمتحف المصرى. كما وضع رمسيس نفسه بين الآلهة فيما لا يقل عن ١٥ تماثلاً. هذا بخلاف ما تحطم وما لم يستدل عليه، وبخلاف مئات بل آلاف الصور والنقوش التى تمثله فى عربته وحروبه أو يستعرض الأسرى أو يعاقبهم أو تمثله فى مواقف يتعبد فيها للآلهة أو يتعبد الموظفون له.

ولكننا لو فحصنا هذه الآثار، كما يذكر د. رشدى البدراوى، لوجدنا معظمها قد تهدم ولم يبق منه إلا بعض قطع من الحجارة عليها اسم رمسيس الثانى تدل على أن أثراً ما كان له فى هذا المكان، ولعلها كانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يبقى عدد قليل من هذه الآثار سليماً بعض الشيء لنذكر عظم ما شيد وضخامة التماثيل التى صنعها. إذ لو دمّرت بالكامل لاندثر ذكره ولم يستدل عليه ومن هنا كان الإبقاء على معابد النوبة سليمة، بل وقيض الله لها من يعمل على إنقاذها من الغرق فى بحيرة السد العالى لتظل شاهداً على

(١) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٥٩٩.

أعمال هذا الفرعون.

ولئن كان هذا الدمار قد حدث بعد وفاة رمسيس الثانى فقد كانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يريه - حال حياته - بعض الدمار فى آثاره وهو ما لم يحدث لأحد من الفراعنة قبله أو بعده، وحدث الدمار فى أثرين كان رمسيس الثانى يعتز بهما أيما اعتزاز وهما معبد أبى سمبل الكبير ومعبد الرمسيوم.

والأول يعتبره البعض أعظم بناء ضخم أقامه إنسان فى زمانه. وكان رمسيس الثانى قد بدأ فى إقامته فى السنة العاشرة من حكمه واحتفل بافتتاحه رسمياً فى السنة الرابعة والعشرين من حكمه، وتمر الأعوام ويحتفل رمسيس الثانى بالعيد الثلاثينى الأول وأقيمت احتفالات ضخمة فى العيد بهذه المناسبة. ولم تمر بعد ذلك بضعة أشهر حتى حدث زلزال شديد ضرب منطقة النوبة واهترزت المنطقة.

وما حدث بمعبد أبى سمبل الكبير كان مأساة مفاجئة كما يقول العالم كتشن⁽¹⁾ Kitchen إذ تشققت الأعمدة الضخمة وتكسر بعضها وانهار. وكذلك انهار العمود الثانى والتمثال الملكى فى الجانب الشمالى من الحجرية الأولى وتحول إلى حطام، وكذلك أصاب الدمار الواجهة ذاتها إذ انهارت الدعامة الشمالية لباب المدخل الرئيسى وسقطت ذراع التمثال الأول من الناحية الشمالية والمجاور للباب.

ولكن الخسارة الكبيرة كانت فى سقوط النصف العلوى بأكمله للتمثال الجنوبي: الرأس والذراعين والأكتاف، وتكسرت اللوحات على الحوائط وكان المنظر فظيماً والموقف حرجاً بالنسبة لنائب الملك على منطقة النوبة (باس) ولم يكن فى وسعه أن يقف مكتوف اليدين أمام هذا الدمار. وبدأ على الفور خطوات الإصلاح التى كللت بالنجاح إلى حد كبير، وأعيد بناء الأعمدة التى سقطت أو تصدعت. وتم تدعيم أعمدة القاعة الكبرى بمبانى، وهذه أتاحت مساحة إضافية لنقش مباركة من الإله (بتاح) مؤرخة بالعام ٢٣ من حكم رمسيس الثانى. وأعيدت ذراع التمثال التى سقطت وتم سندها بقطعة من الحجر كتب عليها اسم رمسيس الثانى وأعيد بناء دعامة الباب ولكنها تركت خالية من النقوش. وكان هذا أقصى ما أمكن للوزير (باس) عمله، ولعل ذلك الترميم لم يلقى قبولاً تاماً لدى رمسيس الثانى فعين بدلاً منه نائباً آخر للنوبة.

(1) Kitchen, Kenneth. Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II. King of Egypt. London: Aris & Phillips (1983), p. 35.

وكان هذا النائب الجديد هو المبعوث الحيثى هوى huy الذى كان مرافقاً للأميرة الحيثية عند حضورها إلى مصر للتزوج من رمسيس الثاني. وقد عينه نائباً له على النوبة لمدة ٤ سنوات (٢٤ - ٢٨) ولكنه لم يفعل الكثير فى ترميم معبد أبى سمبل ثم تولى بعده هذا المنصب «سيتاو» Setau وظل فيه لمدة ربع قرن تقريباً (من السنة ٢٨ إلى السنة ٦٣ من حكم رمسيس). وكان «سيتاو» نشطاً ومثابراً وكتب على لوحة: «لقد عُينت نائباً للملك على النوبة، وقد وجهت الفلاحين بالآلاف وعشرات الآلاف ومن النوبيين مئات الآلاف، وقد أوكلت إلى مهمة بناء معبد رمسيس الثانى فى الضفة الغربية (وهو معبد أبى سمبل)، وقد أعدت بناء معابد النوبة كلها تقريباً والتي كانت قد سقطت إلى حطام، وقد أعيدت كأنها جديدة باسم جلالته العظيم»، ودون ذلك تذكراً ليبقى إلى الأبد. وبالرغم من ذلك لم يستطع إعادة الرأس إلى مكانه فبقى ملقى على الأرض، وحتى لما قامت منظمة اليونسكو برفع المعبد إلى مكان أعلى من مكانه الأصلي حتى لا تغرقه مياه بحيرة السد العالى فإنها حافظت على حاله وتركت أجزاء التمثال المهشمة كما كانت، (صورة ٢٧).

وفى العام ٤٤ قام النائب «سيتاو» ببناء باقى المعابد التى فى الضفة الغربية وهى معبد السبوعة ومعبد جرف حسين، وسُخِر فى بنائها أسرى ليببيين. إذ وجدت لوحة كتبها ضابط اسمه «راموس» يقول فيها: السنة ٤٤: أمر جلالته - نائبه فى النوبة، المخلص «سيتاو» بالإضافة إلى وحدة من جيش رمسيس الثانى - يحميه والده آمون - بأن يأخذ أسرى من أرض الليبيين لبناء معبد رمسيس الثانى، وقد أمر جلالته الملك الضابط «راموس» بتجريد حملة من الجنود لهذا الغرض.. وهكذا أغارت فرقة الجيش على جنوب ليبيا فى الصحراء الغربية وقامت بتسخير هؤلاء الأسرى فى ترميم ما تهدم وفى بناء معبد السبوعة وجرف حسين.

كان معبد الرمسيوم (صورة رقم ٢٨) أسوأ حظاً، إذ لما أصابه الزلزال لم يمكن إعادته إلى حالته الأصلية كما حدث فى أبى سمبل.

وقد أقيم الرمسيوم كمعبد جنزى على الضفة اليمنى من النيل ليكون مكاناً فاخراً لحياة أخرى لرمسيس الثانى، حيث تقام الشعائر لتبجيله وتعظيمه إلى الأبد. وكان يسمى فى المصرية القديمة (بيت ملايين السنين المتحدة مع طيبة) ولكن الأمور لم تسر كما كان يهوى الفرعون فقد سقط النصف العلوى من التمثال البالغ الضخامة الذى كان مقاماً فى الردهة الأولى. سقط الرأس والأذرع والكتفين والصدر كتلة واحدة وتهدمت البوابة تماماً، ولا يزال

نصف التمثال هذا ملقى على الأرض منذ سقوطه صورة (٢٩). إذ يبدو أنه كانت هناك صعوبات فنية تحول دون إعادته إلى مكانه فوق الرجلين. وحالته تشبه إلى حد كبير حالة التمثال الضخم الآخر الموجود بجوار معبد الأقصر (صورة ٣٠)، كما سقطت كذلك رؤوس التماثيل الأصغر حجماً التي كانت مقامة في الردهة الثانية بالمعبد الأخير (صورة ٣١). ولا شك أنها قد رمت وأعيدت إلى مكانها ولكنها بمضى الوقت سقطت ثانية. ومعبد الراسيوم الآن في حالة من الحطام.

ويذكر سليم حسن^(١) أنه لم يبق من المناظر التي كانت تزين جدران هذا المعبد والتي كانت سجلاً تاريخياً عظيماً إلا نحو سبعة ما كان منقوشاً في الأصل. وهذه البقية الباقية لا تعطينا إلا فكرة ناقصة عن المعبد ومحتوياته. وقد استعمل هذا المعبد بمثابة محجر منذ تاريخ لا يمكن معرفته على وجه التأكيد، غير أننا نعلم أن رمسيس الثالث قد نقل منه بعض أحجار إلى معبده بمدينة «هابو».

ومن المحتمل أنه اقتفى أثر هذا الملك ملوك آخرون منذ عاد النشاط إلى إقامة هذا المعبد في عهد الأسرة الرابعة والعشرين. فنرى أنه لم يمض خمسون عاماً على موت «رمسيس الثاني» حتى بدى بتخريب معبده في الراسيوم. وبعد ذلك بألف عام لم يبق من هذا المعبد قائماً إلا نصفه. وفي أيامنا لا نرى منه إلا بقايا أعمدة، وتماثيله الشامخة منها المحطم طريح الأرض ومنها ما فقد رأسه وجل أجزاءه.

وهذه ترجمة النقوش التي قرأها «ديودر الصقلي» على تمثاله الضخم: «إني «أرسيماندياس» (أى رمسيس الثاني باليونانية) ملك الملوك فاليفوقنى فرد ما فى عمل من أعمالى...».

ولقد كان من ضمن ألقاب رمسيس الثاني فعلاً أنه كان يُدعى «حاكم الحكام» أو بعبارة أخرى «ملك الملوك» فى بعض نقوشه.

أما معبد رمسيس الثاني بالعرابة فقد وصل إلى حالة سيئة من التخريب والتدمير ولو حكمنا على مكانة هذا المعبد من بقايا جدرانه ونقوشه فلا يسعنا إلا الاعتراف بأنه كان على جانب عظيم من الفخامة ودقة الصنع والجمال مما لا يضارعه فيه مبنى آخر من المباني التي تركها لنا رمسيس الثاني. إذ لم يستعمل فى إقامته الحجر الجيري الأبيض فحسب بل كذلك الجرانيت الأحمر والجرانيت الأسود والحجر الرملى والمرمر.

وفى عاصمته التى أنشأها وسماها «بررعمسى» أى «دار رمسيس حبيب آمون» والتي

(١) مصر القديمة، ج ٦، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

أنشأ فيها قصوراً فخمة مزخرفة بكل مهارات المصريين وحولها أنشأ دوراً لأعضاء الأسرة المالكة والموظفين العظام من حاشيته، أقيمت في مختلف أنحاءها ثكنات ومصانع. وجاهد رمسيس الثانى لجعل مدينته وعاصمته الجديدة منافساً لدائن مصر العظمى بل لطيبة ذاتها. وقد حفظت أوصاف لمدينة بررعسمى تتحدث بجمالها واتساعها ورخائها، ومنها ما انحدر إلينا عن كاتب يدعى «بيبسا» فى رسالة منه إلى رئيسه يقول:

«بررعسمى مقام طيب للسكن: ريفها حافل بكل طيب، وبها الأطعمة والأغذية كل يوم، وفى بركها السمك وفى غدرانها الأطيبار، وروابيها مخضرة بالكلا.. والرمان والتفاح والزيتون وتين الحدائق ونبيذ كانكيى المعتق الذى يفضل العسل.. تبحر سفنها وترسو فإذا الأطعمة والأغذية فيها كثيرة، أقبل ولتحتفل من أجلها بأعيادها السماوية وأيام أعيادها.. اسكن واسع وتجوّل حراً عندئذ بغير اضطراب»^(١).

على أن الغريب فى مدينة بتلك المنزلة كمدينة «بررعسمى» عاصمة مصر أمداً يربو على قرنين أن يصعب تحقيق موقعها على يقين. فقد حددت المدينة فى أطلال تانيس بحكم ما فى هذه الأخيرة من آثار ضخمة، وان كان كثير من ذلك قد أتى به من مدن أقدم، إذ كان الحجر فى الدلتا نادراً وكان للكثير من الآثار أكثر من موطن واحد. فقد كانت المحاجر بعيدة وكان أيسر أن يتم استغلال أحجار المواقع القديمة بدلاً من جلب حجر جديد. ولئن كانت أطلال «تانيس» تشمل آثاراً بنيت يوماً فى «بررعسمى» فإن هذه الأطلال لا تقع فوق مدينة «بررعسمى». إذ تقع المنطقة التى يسلم أكثر العلماء بأنها بقايا «بررعسمى» من تحت القرية المتواضعة «قنطير» وما حولها، وذلك على بعد ثلاثين كيلومتراً من «تانيس».

وعلى الرغم من أن ما كشف عنه من ذلك الموقع لم يتجاوز قلة من أشياء وكتل الحجر، فإن البقايا إنما تجلو دلائل لا تنكر على قيام قصور لرمسيس الثانى فى هذه المنطقة. ويبدو يقيناً كأنما قوضت آثار الرعامسة فى «قنطير» حيث أعيد استعمال أحجارها فى تزيين منشآت تالية وبخاصة فى «تانيس». وهكذا كان مصير تلك المدينة الضخمة فائقة الجمال فى زمانها والتى بناها رمسيس الثانى لتكون عاصمة ملكه، حيث تحولت إلى أطلال بالية ومحجر لأخذ الأحجار منها لبناء المعابد والمباني فى المدن الأخرى.

ومما يروى عن الخليفة المأمون العباسى عندما أقبل على مصر، فأقام فيها أياماً لم تعجبه فقال: ألا قبَّح الله فرعون ماذا أعجبه فى مصر حيث يقول ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ

(١) لبيب حبشى، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مسلات مصر، ناطحات السحاب فى الزمن الماضى، ١٠٨.

الآنَهْرُ نَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ [سورة الزخرف - الآية ٥١]، فقال له أحد جلسائه: "يا أمير المؤمنين ولقد قال الله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف]، فإذا كان هذا هو ما بقي مما دمر الله فكيف كانت مصر قبل ذلك؟

٦- وهو الفرعون الذى كان مصيره الغرق وصارت جثته عبرة لمن جاء بعده.

وقد أشار القرآن إلى ذلك فى أكثر من موضع:

﴿قَالِ يَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقْنَا آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا لَعَقِيلُونَ﴾ [سورة يونس].

وهكذا غرق فرعون ونجى ببدنه ليكون لمن خلفه آية. ولم تكن آية لمن خلفه جيلاً أو جيلين بل بقيت لعشرات الأجيال ومئات السنين. ويمكن استنتاج أن يكون حادثة الغرق لم يشاهدها غير عدد محدود من رجال البلاط وبعض القادة والكهنة ممن كانوا مع فرعون فى مطاردة بنى إسرائيل ونجوا من الغرق. كما يمكن القول بأن الكثير من العوام لم يسمع بها، فقد كان الأمر عندهم فيما يبدو أن الفرعون قد توفى كما توفى غيره من الفراعنة، فهو كما فى حالة رمسيس الثانى قد بلغ من العمر عتياً حيث بلغ ٩٠ عاماً وحكم مصر ٦٧ عاماً ولذلك لم يستغرب الناس وفاته.

ومما لا شك فيه أن التقاليد المصرية القديمة كانت تقتضى بأن يتم الحفاظ على الجثة وتحنيطها ذلك أن الفرعون يجب أن يدفن وينعم بالطقوس الجنزية التى تكفل له مثنوى طيباً ليحيا فى العالم الآخر حياة طيبة. حيث كان المصريون القدماء يعتقدون أن الخلود بعد الموت لا يتحقق إذا تحلل جسد الميت، وقالت عقيدتهم بأن الموت لا يقطع الصلة بين الروح والجسد فكل منهما يعتمد على الآخر. وكلُّ تآكلٍ فى الجسد بعد الموت يسرق من الروح جزءاً، وتحلل الجسد يعنى فناء الروح، ومن هنا نشأ فن التحنيط.

وقد يكون أفراد البلاط الملكى ممن نجا من الغرق قد قاموا بتحنيط جثة الفرعون ونقل التابوت إلى طيبة ليدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه فى وادى الملوك.

فقد أعد رمسيس الثانى لنفسه مقبرة حفرت فى وادى الملوك - وتعرف بالمقبرة رقم

٧- إلى عمق أربعمائة قدم فى الصخر وممرها يبلغ نحو مائة وخمسين قدما، ويؤدى هذا المصر إلى قاعة عظيمة تبلغ مساحتها أربعة وأربعين قدما مربعا، كما تحتوى على أربع حجرات أخرى.

وليس للمقبرة شهرة مقبرة والده سيتى الأول (صور ٣٢ - ٣٤) من جهة النقوش وجمالها والرسومات وروعته على الرغم من كبر مساحتها، ويرجع ذلك كما يذكر سليم حسن^(١) إلى أنها مملوءة بالرمال والطين وقد نهبت فى الأزمنة القديمة.

ولقد كان من المؤلف قديماً انتشار ظاهرة سرقة المعابد والمقابر وخاصة المقابر الملكية ومقابر الأمراء والأثرياء ونهب ما فيها وزادت جماعات اللصوص وشجعهم على ذلك ما كانت تحويه من كنوز ثمينة ومن أثاث جنزى وحلى وأدوات الحياة اليومية والاستعمال المنزلى. ولقد تراخت سلطة الدولة فى عصر الأسرتين الـ ٢٠ والـ ٢١ وأصبح العرش ضعيفا، فانتهمز كبار الموظفين الفرصة وصار الحراس متهاونين. ووجد اللصوص الفرصة لسرقة المقابر ولم يحترموا قداسة الموتى، ولم يخشوا الملوك فنظموا العصابات، ولم تستطع لجان التحقيق التى شكلت الوصول إلى الجرائم أو الحد منها. وفى سجلات المحاكم القديمة وجد ما يقطع بأن قبور أمنحتب الثالث، وسيتى الأول ورمسيس الثانى قد نبشت ونهبت.

ونظراً لاستمرار نهب المعابد واستمرار التعدى على المقابر وامتداد هذا التعدى إلى مقابر الملوك المنعزلة فى وادى الملوك، استقر رأى رجال الإدارة وكهنة آمون على الحفاظ على مومياءات الفراعنة فحسب. حيث وضعت مومياءات ثمانية من الملوك فى حجرة جانبية من مقبرة الملك «أمنحتب الثانى» (صورة ٣٥).

ولنفس هذا السبب فإن مومياء رمسيس الثانى قد أعيد لفها فى كفن خارجى جديد ووضعت فى تابوت خشبى عادى للتمويه، ونقلت إلى مقبرة والده سيتى الأول مع مجموعة أخرى من جثث الفراعنة السابقين. وسُجِّل على الكفن أن ذلك تم فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث فى السنة ٢٤ من حكم رمسيس الحادى عشر. ولما كان رمسيس الحادى عشر هو آخر فراعنة الأسرة العشرين وحكم ٢٧ سنة فإن العام الذى أعيد فيه تكفين ودفن جثة رمسيس الثانى كان فى عام ١٠٨٩ ق. م أى بعد وفاته بـ ١٢٧ سنة.

ولكن العبث بالمقابر الملكية لم يتوقف، فنقلت جثته فيما بعد إلى مقبرة «أمنحتب الأول». وأخيرا فى نهاية الأسرة الثانية والعشرين صممت السلطة الإدارية على صيانة المومياءات

(١) سليم حسن، مصر القديمة، ج ٦، ٣٥٦.

الملكية من العيبث بها مرة أخرى، فدفنوها معاً حيثما اتفق مع ملوك الكهنة المنتسبين للأسرة الحادية والعشرين في مقبرة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد هذه الأسرة بالقرب من الدير البحري. وسجلوا أن ذلك قد تم في السنة العاشرة من حكم الملك «سيامون» في عام ٩٦٩ ق.م. وردم المدخل تماماً وبقي القبر الجديد بعيداً عن عيبث اللصوص لأكثر من ٢٨٠٠ سنة.

وهكذا بقيت جثة أو مومياء رمسيس الثاني مع الملوك الآخرين في أمان حتى سنة ١٨٧٥م عندما كشف فلاحو هذه الجهة هذا المدفن الجماعي للمومياوات والذي سمي فيما بعد بـ «خبينة الدير البحري» وتحتوى على جميع المومياوات ومن بينها مومياء رمسيس الثاني. حيث عثر فلاح مصرى هو وإخوته مصادفة على مدخل المقبرة وأخفوا اكتشافهم وظلوا يترددون على المقبرة سراً يأخذون منها ما خف وزنه وغلا ثمنه مثل الجواهر والحلى وأوانى الأحشاء حتى اختلفوا فذهب أحدهم إلى قسم الشرطة واعترف بالأمر بعد أن كانت قد مرت ١٠ سنوات على اكتشافهم لها.

وفى ٦ يوليو عام ١٨٨١م تم نقل كل محتويات خبينة الدير البحري من مومياوات وأثاث جنازى فى باخرة إلى القاهرة حيث أودعت فى المتحف المصرى فى بولاق. غير أن نقل المومياوات من مكان إلى آخر قد سبب بعض العطب لها، وبخاصة مومياء رمسيس الثانى حيث نقلت إلى ضريح «سعد» ثم نقلت بعد ذلك إلى بيت مدير مصلحة الآثار قبل أن تستقر فى النهاية فى الطابق العلوى بالمتحف المصرى.

٧- وأنه الفرعون الذى التقت امرأته وابنته موسى وربتاه

وكما سمتها السنة النبوية الشريفة ومفسرو القرآن الكريم بـ «آسيه» وآمنت بموسى عليه السلام. فقد قال ﷺ:

« كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيه امرأة فرعون ومريم بنت عمران.. وإن فضل عائشة على النساء كفضل السريد على الطعام» رواه مسلم والبخارى وابن ماجه والإمام أحمد.

وآسيه هو اسم كما يرى الدكتور أحمد يوسف^(١) لا شك مصحوقاً عما يكاد يكون أشهر أسماء المصريين الأقدمين وهو إيسيت وآست، ومن أشهر من انتقل إلى الإغريق والرومان ثم إلينا مصحوقاً فى «إيزيس».

(١) أحمد عبد الحميد يوسف، مصر فى القرآن والسنة، دار الشروق، ص ١٠٨.

ولقد كان من كبريات أزواج رمسيس الثانى من تسمت باسم «آست نفرت» أى «آست الجميلة». ولقد كانت «نفرتارى» كما يذكر كثير من المؤرخين هى الزوجة الأولى الرئيسية للفرعون «رمسيس الثانى». غير أن بعض المؤرخين الذين فحصوا الموضوع عن كثب قد وضعوا أمامنا حقيقة هامة تستدعى الفحص من جديد وهى أن «آست نفرت» كانت أم الأمراء الذين كان لهم حق وراثته العرش. فلقد كان من أولادها «رمسيس» الابن الثانى للفرعون، و«خع ام وابس الثانى» الابن الرابع والوارث للعرش حتى مماته فى السنة الخامسة والخمسين من حكم والده، ثم «مرنبتاح» الابن الثالث عشر وخليفة والده على العرش، ويضعها البعض الزوجة الرئيسية لرمسيس الثانى. غير أنها لم تحظ فى الآثار بما حظيت به نفرتارى ولم يكن لها مقبرة مثل مقبرة نفرتارى فى الفخامة والجمال والتي كانت أجمل وأفخم مقابر ذلك العصر (صور ٣٦ - ٣٨). بينما تكاد تحظى هذه الملكة بكثير من التجاهل فيما وصل إلينا من هذا العصر مقارنة بباقي زوجات رمسيس أيضاً.

وكذلك حملت نفس الاسم الأميرة «آست نفرت» ابنته والتي تزوجت من أخيها «مرنبتاح» الذى أصبح فيما بعد ملكاً على مصر بعد والده. فكانت كذلك امرأة فرعون وكانت أم ابنه الفرعون «سيتى الثانى» (صورة ٣٩)، والتي يرى البعض - هؤلاء الذين يرون فى مرنبتاح فرعون موسى - أنها المقصودة بتربية موسى عليه السلام.

٨ - ذلك الفرعون الذى أشار العهد القديم إلى قتل ابنه البكر أو هلاكه:

«فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر، فقلت له أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه، ها أنا ذا أقتل ابنك البكر». سفر الخروج (٤: ٢٢ - ٢٣).

«فيموت كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التى خلف الرحي وكل بكر بهيمة».

سفر الخروج (٥: ١١).

«فحدث فى نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر فى أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذى فى السجن وكل بكر بهيمة، فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين، وكان صراخ عظيم فى مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت» (الخروج ١٢: ٢٩ - ٣٠).

وتذكر كتب التاريخ أن رمسيس الثانى قد فقد ولده البكر الأمير «آمون حر ونمف» ثم

بعد ذلك الأمير «خعمواست» في طفولتهما كما تثبت ذلك النقوش التي على معبد «بيت الوالى». وقد كان الأول يعد الوارث للعرش، ولا يستبعد أن يكون الاثنان بكرين حيث يكون للملك أكثر من زوجة واحدة وأنجب من كل منهن ولدا بكرا.

وأخيراً، ومع كل هذه التوافقات المؤيدة لأن يكون رمسيس الثانى هو فرعون موسى والحقائق التى تثبت صحة هذه النظرية إلا أن عدة اعتراضات حالت دون القبول التام لهذه النظرية وهى:

الاعتراض الأول يتمثل فى أن ذلك يختلف مع ما ذكر فى العهد القديم بسفر الخروج ٢: ٢٣ «وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات» والذى يعنى أن الفرعون «رمسيس الثانى» قد مات وتولى ابنه «مرنبتاح» العرش. غير أنه يمكن القول أن كاتب العهد القديم اضطر لهذا القول لسببين.

السبب الأول: أن يتمشى ذلك مع عمر موسى الذى قرره فى الإصحاح السابع الفقرة السابعة من سفر الخروج: «وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كَلَّمَا فرعون»، الفرعون الجديد. ولما كان موسى قد فر من مصر وعمره ٤٥ سنة كان معنى ذلك أنه أمضى فى مدين ٣٥ سنة، وهى مدة طويلة جداً لا يستقيم معها أن يفكر موسى بعد ذلك فى العودة إلى مصر. ويكون بنو إسرائيل فى هذه الفترة قد نسوا بطلمهم ولا يعود لهم الحماس لقيادته لهم بعد أن غاب عنهم هذه الفترة الطويلة.

والسبب الآخر أن القول بموت الملك يتمشى مع ما جاء بسفر الخروج (٤: ١٩) «وقال الرب لموسى فى مدين، اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك». مع أن كلمة «جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك» لا تعنى فرعون بقدر ما تعنى أهل المصرى القتل، فهم الذين كانوا يطلبون نفس موسى وكان الفرعون ينفذ طلبهم بالثار لهم والأخذ بدمهم، فلما ماتوا لم يعد لدى الفرعون دافع قوي. لهذا قد يستقيم القول: «وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن القوم الذين كانوا يطلبون نفس موسى ماتوا» وليس «ملك مصر مات» فى (الخروج ٢: ٢٣) ليتفق مع ما ذكر فى الخروج (٤: ١٩).

الاعتراض الثانى: يتمثل فى تلك اللوحة المعروفة باسم «لوح إسرائيل» أو «لوح مرنبتاح» والتى كتبت على الأرجح فى العام ١٢٢٠ ق.م وفيه يقول مرنبتاح: إنه قد أباد بذرة إسرائيل من فلسطين، ولما كان الخروج قد حدث فى العام ١٢٢٥ ق.م فهذا لا يترك فترة بين الخروج من مصر ودخول أرض فلسطين سوى ٥ سنوات. وهذا ما جعل كثيراً

من المؤرخين - وخاصة الإسلاميين يرفضون الرأي القائل بأن رمسيس الثانى هو فرعون الخروج لأن القرآن الكريم ينص صراحة وبوضوح على أن فترة التيه أربعون سنة. ولم يتصد أحد لتفسير ما جاء بلوح مرنبتاح تفسيراً يسمح بفترة التيه، كما لم يفتنوا إلى ما قد يكون فى هذا اللوح من مبالغة، وهو أمر مألوف لدى الفراعنة عند تسجيلهم لما قاموا به من أعمال وخاصة نتائج حروبهم، بل تشبثوا بحرفية ما جاء فى هذا اللوح. والاعتراض الأخير ضد هذه النظرية يرى أن رمسيس الثانى كان له ما لا يقل عن مائة ولد ما بين ذكر وأنثى، فى حين أن البعض يفهم من السياق القرآنى فى [سورة القصص - الآية 9] أنه قد تبنى موسى بناء على رغبة زوجته ﴿عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(١) لأنه لم يكن له ولد أو أنه كان عقيماً. وهذا فهم خاطئ فلم يكن التبني بسبب عقم الفرعون أو عقم نسائه، بل كان حرماناً مؤقتاً من الولد بوفاة الأبناء وهم صغار حتى تنفذ إرادة الله فى تبني الفرعون لموسى، فقد أنجب رمسيس الثانى ولدين فى بداية حياته وهما: «آمون حر ونمف» و«خعمواست الأول» وأنهما ماتا فى طفولتهما كما تثبتت النقوش التى على معبد «بيت الوالى». ثم بعد ذلك زالت هذه العلة وعاش أبناؤه حتى بلغوا أكثر من مائة، وقد ثبت أن رمسيس الثانى - فى عشر السنوات الأولى بعد زواجه - كان أبناؤه يموتون وهم رُضَع، وهذا هو سبب قبوله لتبني موسى.

الافتراض الثامن

يرى أن فرعون الميلاد والتسخير هو رمسيس الثانى وفرعون الخروج هو مرنبتاح. وعلى رأس المنادين بهذه النظرية موريس بوكاى^(٢) الذى قام بفحص مومياء كل من رمسيس الثانى (صورة ٤٠) ومرنبتاح (صورة ٤١) فى السبعينات من القرن الماضى. وفى دراسات له^(٣)، قام بعمل مقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة كان ملخصها: أن القرآن لا يذكر أسماء أماكن سواء كان ذلك بالنسبة للمدن التى بناها بنو إسرائيل فى مصر أم بالنسبة لخط سير خروجهم منها. بينما يذكر العهد القديم أسماء كثير من الأماكن والمدن فى تفصيلية أكثر. والقرآن لا يذكر موت أحد الفراعنة أثناء مكوث موسى فى أرض مدين

(*) جراح ومستشرق فرنسى.

(١) موريس بوكاى، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، مكتبة الناظفة، دراسة وتقديم خالد محمد

عبد، ١٩٧٧.

(٢) موريس بوكاى، القرآن الكريم و التوراة والإنجيل والعلم، دار الملتقى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.

وأشار العهد القديم إلى ذلك.

والقرآن لا يحتوى على تحديدات عديدة خاصة بجماعة موسى عليه السلام بينما يضخم العهد القديم عددهم ويصل بهم إلى عدد بعيد عن القبول وهو ٦٠٠ ألف رجل بأسرهم يكونون جماعة أكثر من مليونيين من السكان. ويشير القرآن إلى العثور على جثة فرعون موسى بعد موته وهو مالم يشر إليه العهد القديم.

ثم يذهب بوكاى إلى القول بأن النقاط المشتركة بين العهد القديم والقرآن هي:

- تأكيد القرآن والعهد القديم لاضطهاد فرعون لبنى إسرائيل.

- تأكيد القرآن والعهد القديم على موت فرعون - عند خروجه لمطاردة موسى وبنى إسرائيل - غرقا.

ودراسات بوكاى عن فرعون موسى تنتهى الى القول بان فرعون موسى ليس واحداً بل اثنين! فرعون قام بتسخير بنى إسرائيل واضطهدهم وعذبهم وهو الذى نشأ موسى وترعرع فى كنفه، ومات أثناء هروب موسى وإقامته فى أرض مدين.

وفرعون آخر هو فرعون الخروج الذى طارد موسى وجماعته ومات غرقا. ويذكر أن الأول هو رمسيس الثانى الثانى ملوك الأسرة التاسعة عشر والذى استمرت فترة حكمه ما يقرب من ٦٧ سنة والثانى هو ابنه مرنبتاح ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة والذى استمر حكمه عشر سنوات أو ١٣ تقريبا.

كما كشف أيضاً^(١) عن تطابق ما ورد فى القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه فى اليم مع الواقع المتمثل فى وجود جثته إلى يومنا هذا آيةً للعالمين حيث قال تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِّكَ لِتُكْوَبَ لِمَن حَفَفَكَ آيَةٌ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن آيَاتِنَا لَغَفْلُونَ ﴿١٣﴾﴾

[سورة يونس]. حيث يقول:

«إن رواية العهد القديم بشأن خروج اليهود مع موسى عليه السلام من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن مرنبتاح خليفة رمسيس الثانى هو فرعون مصر فى زمن موسى عليه السلام، وإن الدراسة الطبية لمومياء مرنبتاح قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون. إن العهد القديم يذكر أن الجثة ابتلعها البحر ولكنها لا تعطى تفصيلاً بشأن ما حدث لها لاحقاً. أما القرآن فيذكر أن جثة فرعون سوف تنقذ من الماء كما جاء فى الآية السابقة، وقد أظهر الفحص الطبى لهذه المومياء أن الجثة لم تظل فى الماء

(١) موريس بوكاى، العبرانيون فى مصر، بحث فى مؤتمر ماليزيا للإعجاز العلمى، ١٩٩٤.

مدة طويلة، إذ أنها لم تظهر أية علامات للتلف التام بسبب المكوث الطويل في الماء». ومن أنصار هذه النظرية من يختلف مع بوكاي بعض الشيء، فمنهم من يرى أن خروج بنى إسرائيل من مصر كان خروجاً سلمياً ليس فيه مطاردة، وأن مرنبتاح تعقبهم بعد أن وصلوا فعلاً إلى فلسطين، ومن أصحاب هذا الرأي جان يويوت^(١) الذي يرى أن بنى إسرائيل انتهزوا فرصة انشغال جيش مصر في صد غزوة الليبيين لحدود مصر الغربية في السنة الخامسة من حكم مرنبتاح فهربوا من مصر، ثم بعد أن فرغ مرنبتاح من حربه مع الليبيين جرد حملة إلى فلسطين وأباد بنى إسرائيل هناك. وحول هذه النظرية نقاط تستحق البحث والتمحيص يمكن أن نوردها فيما يلي:

قد يؤيد هذه النظرية ما ورد في العهد القديم (خروج ٢ : ٢٠٣) من أن ملك مصر قد مات، أى أن رمسيس الثانى مات وتولى الحكم بعده ابنه مرنبتاح. مما قد يتفق مع ما تقول به هذه النظرية، غير أنه يمكن القول كما قد قلنا من قبل أنه قد يستقيم القول «وحدث فى تلك الأيام الكثيرة أن القوم الذين كانوا يطلبون نفس موسى ماتوا» وليس «ملك مصر مات» فى (الخروج ٢ : ٢٣) ليتفق مع ما ذكر فى الخروج (٤ : ١٩).

كما قد يؤيد هذا الافتراض أو هذه النظرية أن نفهم من الآية الكريمة ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء] ما يشير إلى أن فرعون القائل هنا يريد بقوله «فينا» أى فى البيت الملكى أو أنه قد يشير بذلك إلى والده رمسيس الثانى الذى تربى موسى فى كنفه. غير أنه لا يمكن التسليم بهذا الفرض تسليماً قاطعاً فقد يكون الفرض الآخر (بأن يكون رمسيس هو نفسه القائل بذلك) على نفس القدر من القبول ويكون رمسيس الثانى هو الذى يمن على موسى بحق الرباية. بل إن هذا الفرض الثانى له ما يعضده إذا أخذنا فى الاعتبار ما يمكن أن يكون أكثر إيلاماً للنفس وأدعى إلى الحزن عندما يجد فرعون أن ما كان يأمله وزوجته من تربية موسى ومن كانت ترجى منفعته ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكِ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة القصص] صار هو نفسه سبباً فى هلاكه فكأنه التقطه ليكون له عدواً وحزناً، كما قرر القرآن الكريم: ﴿ فَالْقَطْعُ ۗ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزًا وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴾ [سورة القصص].

(١) جان يويوت، مصر الفرعونية، مترجم، القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٠.

وبالرغم من كل أسباب الحيطه والحذر الذى اتخذها رمسيس الثانى. وهذا أبلغ فى العبرة من أن يكون الذى سخر وتكبر وتجبر قد مات فى سريره ميتة طبيعية فى حين يكون الغرق من نصيب ابنه. وخاصة أن مدة حكم رمسيس الثانى طويلة تسمح بوقوع كل الأحداث فى عهده. وتكون الآية بلفظ البحر لجثته تمثيلاً به لأفعاله.

﴿قَالِئَوْمٌ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [سورة يونس].

فالذى يُقبل هو أن يكون فرعون موسى - الذى رباه وهو طفل ثم هرب منه وهو شاب ثم عاد له ليبلغه برسالة ربه بترك اليهود يخرجون من مصر وقت أن صار كهلاً - هو فرعوناً عاش على الأقل خمسين عاماً وهى التى فيها عاصر موسى طفلاً فشاباً فكهلاً ثم مات غرقاً.

كما أن ما يعضد هذه النظرية تلك اللوحة التى ذكر فيها بنى إسرائيل وهى لوحة مرتتاح أو لوحة بنى إسرائيل التى كتبت فى العام الخامس من حكمه. والتى تذكر أن مرتتاح قد قضى على بنى إسرائيل وأبادهم وبالتالى يكون هو فرعون الخروج.

غير أن هذا يتنافى مع الحقيقة المؤكدة وهى أن فرعون الخروج غرق أثناء مطاردته لبنى إسرائيل، فلا يمكن أن يكون الخروج حدث فى أوائل حكم مرتتاح بل يكون قد حدث فى أواخر حكم رمسيس الثانى الذى غرق أثناء مطاردتهم. كما أنها بهذا تغفل سنوات التيه التى عاش فيها بنو إسرائيل فى صحراء سيناء التى وردت فى القرآن الكريم. مما يدل على أن الاعتماد على لوحة مرتتاح كسند فى نظرية أن يكون مرتتاح نفسه هو فرعون الخروج هو فى حد ذاته ينفى هذه النظرية ويثبت عدم صدق الفقرة الواردة بها والمتعلقة ببنى إسرائيل تصبح هذه اللوحة فى حقيقتها دليلاً على أن الخروج تم قبل عصر مرتتاح. وقد علق جيمس بيكى^(١) عالم الآثار الشهير إلى ذلك فى إشارة مقتضبة بقوله: «وإن مركز مرتتاح كفرعون الخروج قد اهتز بسبب كشف لوحة النصر أى لوح إسرائيل». ولقد تناولنا طبيعة هذه اللوحة والاختلاف حول ما فيها فيما سبق.

كما أن البعض ذهب فى اعتقاده فى صحة هذه النظرية مذهباً بعيداً ليقول أن فرعون الخروج لم يموت وإنما نجاه الله ببدنه (أى نجا ببدنه من الغرق) ليكون آية للناس على قدرة الخالق. ومن هؤلاء سليم حسن^(٢) الذى يرى أن موضوع غرق فرعون فى الكتب السماوية

(١) جيمس بيكى، الآثار المصرية فى وادى النيل ج٣، ص ١٧١.

(٢) سليم حسن، مصر القديمة ج٧، ص ١٣٥.

قد فهم خطأ، حيث يقول: الواقع أنه لا يمكن للإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته فى ماء ضحاح لا يزيد عمقه عن قدمين أو ثلاثة، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأحوال وسقط بعض ركابها وهذا يفسر ما جاء فى سفر [الخروج ١٤ : ٢٥] «وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله». أو «وخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة». ويستمر قائلاً: هذا فضلاً عن أن ما جاء فى القرآن الكريم لا يُشعر بأن الفرعون الذى عاصر موسى وطارده قد غرق ومات، بل على العكس نجّاه الله ببدنه ليكون آية والتعبير: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [سورة يونس] تعادل التعبير العامى (خُلص بجلده)!! وفى رأى الشخصى أنه لا يمكن تأويل أو تفسير آيات القرآن اعتماداً على مفهوم العوام أو التعبير العامى.

الافتراض التاسع

ويكاد يكون معارضة لما أورده الافتراض السابق من أن فرعون الخروج هو مرتبّاح ليقع لنا فرضية جديدة تقول بأن سببى الثانى هو فرعون الخروج. وقد أورد هذا الرأى د. أحمد عبد الحميد يوسف فى كتابه «مصر فى القرآن والسنة». وقبل أن نستعرض حيثيات هذا الرأى ينبغى أن نشير أولاً إلى أن مرتبّاح كان الابن الثالث عشر من أبناء رمسيس الثانى الذكور. وقد اختاره والده ولياً للعهد فى السنة الخامسة والخمسين من حكمه، وذلك بعد موت الأمير «خع ام وست» الذى ظل ولياً لعهد الملكة المصرية مدة طويلة. ولم يتول عرش الملك إلا وهو فى نحو الستين من عمره ومن ثم نرى ملكاً طاعناً فى السن قد خلفه آخر بلغ أزدل العمر. ولعل الفترة التى قضاها مرتبّاح فى الحكم لم تكن طويلة فإن آخر ما عثر عليه من آثاره ترجع إلى السنة الثامنة من حكمه مما يدل على أنه لم يمكث على عرش الملك أكثر من ثمانى إلى عشر سنوات وليس هناك حتى الآن ما يثبت انه حكم عشرين عاماً كما ذكر لنا مانيتون.

ويقول د. أحمد عبد الحميد يوسف أنه قد طعن فى السن وتقدمت به الأيام، إذ بدا من فحص موميائه تصلب الغضاريف من حنجرته فإذا هى عظام كلها، وفى ذلك ما يدل - فى رأى الطب والأطباء مع صلعه وما تبقى من بياض شعره الأشيب - على أنه بلغ من الكبر ما يقعد به أو يوشك أن يقعد به عن الخروج فى حملات الحرب والقتال. ولئن كان لا يخرج فى الحملات الخطيرة التى تتعرض فيها مصر للعدوان والغزو من

قَبْلَ الْغَرْبِ فَلَمْ يَخْرُجْ عِنْدَ هَجُومِ اللَّيْبِيِّينَ فِي الْعَامِ الرَّابِعِ. وَلَا ثَبَتَ خُرُوجُهُ فِي الزَّحْفِ الْأَكْبَرِ الَّذِي وَجَّهَهُ عَلَى مِصْرَ فِي الْعَامِ التَّالِي، فَأَحْرَى بِهِ لَوْ وَقَعَ خُرُوجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ آخِرَ حَكْمِهِ أَلَّا يَخْرُجَ لِإِدْرَاكِ هَؤُلَاءِ الْهَارِبِينَ، الشَّرْذِمَةُ الْقَلِيلُونَ. وَلِذَلِكَ فَأَحْرَى بِحَكْمِ السَّنِ أَنْ تَكُونَ نَهَائِيَّتُهُ وَفَاةَ بِحَكْمِ الشَّيْخُوخَةِ فِي خَتَامِ الْعَمْرِ.

وَيَرْجَحُ الْكَاتِبُ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ الْخُرُوجِ شَاباً أَوْ رَجُلًا مَكْتَمِلَ الصَّحَّةِ مَوْفُورَ النِّشَاطِ حَيْثُ الْمَوْتُ الْمَفْاجِئُ، بَغْرُقُ أَدْنَى إِلَى الْعَقْلِ وَالْإِقْتِنَاعِ، وَيُرَى أَنْ ذَلِكَ يَنْطَبِقُ عَلَى «سَيْتَى الثَّانِي» وَالَّذِي تَوْجَدُ مَوْمِيَانَهُ بِالْمَتَحْفِ الْمِصْرِيِّ بِالْقَاهِرَةِ.

كَمَا يَسْتَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ بَأَنَّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ مِنْ جَدَلٍ كَانَ يَعْتَنِفُ حَتَّى يَبْلُغَ حَدَّ التَّرَاشُقِ اللَّفْظِيِّ دَلِيلَ آخَرَ عَلَى شَخْصِ فِرْعَوْنَ الْخُرُوجِ. فَمَا كَانَ لِمُوسَى بِأَدْبِهِ الرَّبَّانِيِّ لِيَتَحَدَّثَ بِهَذَا الْعَنْفِ إِلَى رَمْسِيِّسِ الْأَكْبَرِ الَّذِي تَرَبَّى فِي كَنْفِهِ وَلَا إِلَى ابْنِهِ مَرْنَبِتَاحِ. وَظَاهِرٌ إِذَا أَنَّ مُوسَى إِنَّمَا كَانَ يَتَحَدَّثُ إِلَى تَرْبِ أَصْغَرَ مِنْ أْتْرَابِهِ مِنْ بَنِي رَمْسِيِّسِ أَوْ أَحْفَادِهِ تَرَبَّى مُوسَى مَعَهُ أَغْلَبَ الظَّنِّ، وَارْتَفَعَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ قَبْلِ الْكَلْفَةِ وَزَالَتْ الرَّهْبَةُ بِحَيْثُ يَقُولُ مُوسَى لَهُ:

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٤﴾ [سورة الإسراء].

وَالظَّنُّ هُنَا بِمَعْنَى التَّحْقِيقِ وَمَثْبُورًا كَمَا تَذَكَّرُ كَتَبُ التَّفْسِيرِ أَي مَلْعُونًا أَوْ مَغْلُوبًا أَوْ خَاسِرًا أَوْ مَخْبُولًا لَا عَقْلَ لَهُ أَوْ هَالِكًا أَوْ مَسْحُورًا لِيَرُدَّ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا قَالَ لَهُ بِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ. وَلَمْ يَكُنْ رَمْسِيِّسِ الثَّانِي وَلَا كَانَ مَرْنَبِتَاحِ بِاللَّذِينَ يُوصَفَانِ بِالْمَثْبُورِ. وَهَنَّاكَ اخْتِلَافٌ كَبِيرٌ كَمَا تَثَبَّتِ الشُّوَاهِدُ التَّارِيخِيَّةُ بَيْنَ شَخْصِيَّةِ أَوَائِلِ فِرَاعِنَةِ الْأُسْرَةِ التَّاسِعَةِ عَشْرَ وَأَوَّخَرَهَا، فَشَتَانِ بَيْنَ سَيْتَى الْأَوَّلِ وَرَمْسِيِّسِ الثَّانِي وَمَا بَيْنَ مَرْنَبِتَاحِ، ثُمَّ مَا بَيْنَ مَرْنَبِتَاحِ وَابْنِهِ سَيْتَى الثَّانِي. وَفَضْلًا عَنِ ذَلِكَ فَإِنَّ مَا تَبَيَّنَ مِنْ لُوحَةِ النُّصْرِ الْأَكْبَرِ مِنْ تَمَتُّعِ النَّاسِ أَيَّامَ مَرْنَبِتَاحِ بِأَمْنٍ وَرَخَاءٍ مِنْ بَعْدِ خَوْفٍ وَاضْطِرَابٍ وَمَا تَحَدَّثَتْ بِهِ أَخْبَارُهُ بَعْدَ، فَقَدْ عَرَفَ عَنِ عَصْرِ مَرْنَبِتَاحِ مِنْ سَعَةِ وَفِيضٍ مِنْ رِزْقِ مَكْنَاهُ مِنْ غُوثِ الْحَيْثِيِّينَ فِي مَجَاعَتِهِمْ. وَمَا عَرَفَ مِنْ عَهْدِ سَيْتَى الثَّانِي مِنْ فَوْضَى وَاضْطِرَابٍ، وَمَا وَرَدَ مِنْ عَهْدِ صَاحِبِ الْخُرُوجِ مِنْ نَوَازِلِ الطُّوفَانِ وَالْجِرَادِ وَالْقَمَلِ وَالضَّفَادِعِ وَالِدَمِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝١١٣﴾ [سورة الأعراف]، وَإِنَّ كُلَّ هَذَا فِي نَظَرِ الْكَاتِبِ يَرْجَحُ أَنْ يَكُونَ سَيْتَى الثَّانِي هُوَ صَاحِبُ الْخُرُوجِ. وَلَعَلَّ سَيْتَى الثَّانِي كَانَ حِينَ وُلِيَ الْعَرْشَ قَدْ اتَّبَعَ سِيَاسَةَ السَّمَاخَةِ وَاللِّينِ مَتَّبِعًا سِيَاسَةَ وَالِدِهِ مَرْنَبِتَاحِ الَّذِي كَانَ أَرْحَمَ مِنْ أَبِيهِ رَمْسِيِّسِ الثَّانِي بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلِ. وَأَيَّةُ ذَلِكَ أَنَّ مُوسَى حِينَ

جاءه بالبينات إذا بالملأ من حوله يحرضونه على استئناف سياسة جده فيهم من القتل والتعذيب وأنه أوعد بها على التحديد، كما يدل ذلك على ما وصلت إليه حاشيته من مكانة وتأثير في شخصية الفرعون.

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ، لِيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكْ وَعَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقْلُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَسْجَى، نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف].

ويخرج د. عبد الحميد يوسف من ذلك إلى أن حياة موسى قد شهدت أطواراً ثلاثة: كان الأول حين مولده تحت فرعون يضطهد بنى إسرائيل ويعذبهم، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم فدفع ذلك بأمه بوحي من الله تعالى أن تلقيه في اليم. والثاني حين بلغ أشده واستوى على عهد توقف فيه ذبح البنين وخف العذاب. وتمتع فيه بنو إسرائيل بقدر من السماحة واللين أغرياهم بشيء من جرأة وتبجح، فلم يكن لاسرائيلي أن يقتتل مع مصرى فيستنصر عليه موسى فيقتله، ثم يعود إلى قتال آخر بعد مقتل الأول إلا في ظل سماحة تمتعت بها طائفته وأمن استمراره شيعة. وقد كان محتملاً أن تتعرض الطائفة كلها لنقمة فرعون والناس بعد مقتل المصرى والشروع في قتل الآخر. ومع ذلك فقد بلغت السماحة يومئذ بحيث لم يطلب غير موسى بدم ذلك القتل، وبما عسى أن يكون فتنة وفساداً في الأرض.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ [سورة غافر].

وكان الطور الثالث حين عاد موسى إلى مصر برسالة ربه يثير في قوم فرعون مكامن العداوة والبغضاء فيحرضون عليهم كما سبق على استئناف ما كان قد انقطع من التعذيب لبنى إسرائيل.

وقد يؤيد تغير لهجة حوار موسى مع فرعون، نتيجة لاختلاف من يحدثه الآن عن سابقه، ما ذكره القرآن من خوف موسى وأخيه من طغيان فرعون وبطشه عندما كلفا بالرسالة والذهاب إلى فرعون في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا خَافُ أَنْ يَقْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ [سورة طه].

ولعلنا نستشعر مدى ما كان في نفس موسى من رهبة اللقاء، لسابق معرفته بجزوت هذا

الفرعون وطغيانه، وذلك من دعائه إلى ربه :

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَخْلِلْ عِقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ بِفَقْهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾
وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَؤُلَاءِ أَهْلِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ [سورة طه].

وانتشرت القلاقل داخل البلاد بسبب الثورات التي قامت من أجل عرش الملك والتطاحن عليه بين أفراد أسرة هذا العامل. والواقع أن البلاد بعد عهد «مرنبتاح» كانت في حالة من الفوضى والاضطراب. بفوفاته تفجرت أزمة وراثته العرش، وكان ذلك متوقفاً بالنظر إلى طول مدة حكم رمسيس الثاني والتي بلغت ما يقرب من ٦٨ سنة. فوفاة أولياء العهد تبعاً، واختيار مرنبتاح لتولى السلطة رغم ترتيبه الثالث عشر كانا سبباً فيما احتدم من صراع بين أفراد الجيل اللاحق من الأسرة المالكة.

وقد نتفق معه فيما ذهب إليه من أن عصر مرنبتاح كان عصراً مستقراً إلى حد ما، ونعمت فيه البلاد ببعض الهدوء وتحسن الوضع المالى لها، بعد أن ابتلعت النهضة العمرانية والبنائية الكبيرة التي قام بها أبوه «رمسيس الثاني» كل موارد الدولة. وكذلك مع ما كان من اضطراب وفوضى في عهد خلفه «سيتى الثاني» الذى تولى الحكم وهو فى سن السادسة والخمسين من عمره تقريباً. وكانت الأمور مهياًة لقيام الاضطرابات وتأليف الأحزاب التي نجدها تنمو وتترعرع فى مثل هذه الأحوال لانعدام الشخصية القوية التي تضرب على أيدي العابثين والنفعيين، ولم يبق هناك حاكم يرد الحق إلى نصابه، وسقطت مصر فى أيدي أمرائها وحكام مدنها، وأصبحت البلاد فى إعياء وفقر داخلى بالغ.

ويذكر نيقولا جريمال فى كتابه تاريخ مصر القديم^(١) أنه جاء فى بردية «هاريس»: سادت مصر الاضطرابات، وأصبح كل شخص يضع قانونه الخاص، وعلى امتداد عدة سنوات لم تعرف مصر حكومة... وتحكم الأعيان وعمد القرى فى البلاد».

وبردية «هاريس» المذكورة هى أطول بردية مصرية قديمة عثر عليها حتى الآن وتشتمل على ١٥٠٠ سطر. وقد عثر عليها فى مقبرة بالقرب من مدينة هابو بالأقصر. واشتراها جامع التحف أنتونى تشارلز هاريس (١٧٩٠ - ١٨٦٩) فى عام ١٨٥٥، ودخلت ضمن مجموعة المتحف البريطانى عام ١٨٧٢. وتشتمل قائمة بأوقاف المعبد وموجز مختصر عن فترة حكم رمسيس الثالث من الأسرة الـ ٢٠. وتذكر البردية اسم «ست نخت» والد الملك

(1) Nicholos Grimal, A History of Ancient Egypt, Blackwell, London, 1994, p 355

رئيس الثالث وسلفه فى الحكم الذى أعاد الاستقرار إلى مصر بعد صراع داخلى ونزاع أهلى. ورئيس الثالث هو الذى نظم الجهاز الإدارى وجيش الدولة. والبردية نفسها كتبت فى عهد الملك رئيس الرابع ابن الملك رئيس الثالث.

ومع اتفاقنا مع ما ذهب إليه من أن هذه الفترة كانت فترة اضطرابات وفوضى، إلا أن كل هذا لا يعنى بالضرورة أن يكون ذلك العهد هو عهد نزول الآيات التسع الواردة فى العهد القديم والقرآن الكريم، وأن ذلك الفرعون (سيتى الثانى) هو فرعون الخروج.

كما أنه فى تقسيمه لحياة موسى للأطوار الثلاثة لم يحدد أى الفراعنة أقرب وجوداً لكل مرحلة وإن نوه قبل هذا بصورة عامة إلى أن موسى قد عاصر الفراعنة الثلاث «رئيس الثانى» و«مرنبتاح» ثم «سيتى الثانى» وأن الأخير هو فرعون الخروج.

وهناك من الباحثين من يقترب من هذه النظرية ويؤيدها، ومنهم الباحث محمد عزة دروزة^(١) الذى يربط بين اضطهاد بنى إسرائيل على يد فرعون، والذى ثبت فى الكتب المقدسة، وبين ما ورد فى برديات مصرية من حديث عن اضطهاد رئيس الثانى للعبانيين. وذلك اعتماداً على ما ذكر جيمس هنرى بريستد فى كتابه «تاريخ مصر منذ أقدم العصور» الذى تحدث عن تسخير رئيس الثانى للعبانيين فى جنوب بلاد الشام. وقد ذكر بريستد خروج بنى إسرائيل من مصر فى عهد مرنبتاح الثانى فى ظروف الاضطراب وعدم الاستقرار التى حدثت فى مصر وقتها، وأن السحرة والمنجمين نصحوا مرنبتاح بتعذيب بنى إسرائيل. وظهر فيهم موسى ثم كلف برسالة التوحيد ونبذ ألوهية فرعون وتحرير بنى إسرائيل من العبودية التى يزرعون تحت نيرها. وانتهى الأمر بخروجهم من مصر ومطاردة مرنبتاح لهم وقتل منهم مقتلة عظيمة.

وقد اعتمد بريستد فى معلوماته على المدونات اليونانية القديمة والمؤرخ المصرى القديم «مانيتون السمودى» الذى عاش فى العصر البطلمى. ويقول بريستد أنه قرأ نصوصاً مكتوبة فى الأقصر يفتخر فيها مرنبتاح الأول بتنكيه بنى إسرائيل وباقى سكان فلسطين.

غير أن هذا القول ربما يقصد به ما ذكر بلوكة النصر لمرنبتاح أو لوحة إسرائيل وليس نصوصاً بعينها فى مقبرته مثلاً. ويحاول «دروزة» ان يجمع بين تلك الروايات فيقول: إن بنى إسرائيل خرجوا من مصر على دفعتين: دفعة صغرى فى عهد رئيس الثانى أو ابنه مرنبتاح ودفعة كبرى فى عهد من جاء بعده «آمون مس» الذى اغتصب الحكم لنفسه

(١) محمد عزة دروزة، تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٦٩.

وحكم فترة تصل إلى خمس سنوات أو سبتي الثاني وهو ابن مرنبتاح وحكم سبع سنوات ،
والأخيرة هي التي قادها موسى .

مثل هذه الفروض التسع التي تناولت فرعون موسى ، والتي تم إيرادها في هذا الكتاب
تقوم على اجتهادات فكرية وكل منها له حيثياته التي قد تقترب من المنطق وقد تجدف
بعيداً عنه . وهناك مجموعة أخرى من الافتراضات لم نوردها في هذا العرض لكونها فروضا
واهية لا تعتمد على أساس ولا يمكن عرضها للنقاش ، كمن يدعى أن فرعون وجنده الذين
طاردوا موسى عليه السلام من قوم موسى وليسوا من المصريين . أو من يقول بأن فرعون
موسى هو أوزير أو أوزوريس وأن إيزيس زوجته (أو إيست بالمصرية) هي «أسيه بنت
مزامح» امرأة فرعون التي ورد ذكرها في القرآن . وأن «ست» المعبود الشرير الذي قتل
أوزير ما هو إلا النبي موسى عليه السلام ! ، مستقياً فكره من الأسطورة المصرية القديمة
«إيزيس وأوزوريس» . ومثل هذه الآراء تحتاج إلى كثير من الحقائق حتى تقف على قدميها
كافتراض يمكن مناقشته .

وخلاصة هذا السرد أو هذا التناول للآراء والافتراضات المختلفة أنه لا يمكننا الجزم
بصحة أى منها ، وإن كنا نميل إلى أحدها دون الآخر فلا يعنى ذلك أننا نجزم بهذا الرأى
ونقطع به .

ولعلنا نكون أكثر حيادية وأكثر صدقاً ونسیر وفق ما تناولته الكتب المقدسة القرآن الكريم
الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك العهد القديم ، إذا ما سلمنا بصحة
كل ما كتب عن قصة فرعون فيه حيث لم تكتب التوراة إلا فى القرن الرابع قبل الميلاد ،
هذه الكتب لم تصرح باسم الفرعون وإنما أشارت فقط إلى ما كان منه تجاه دعوة موسى
عليه السلام ، وما وقع لبنى إسرائيل على يديه من تعذيب وتسخير وقتل للأبناء واستحياء
للنساء ، وكيف كان بصيره . كما أن النصوص الأثرية والمخلفات المادية للتاريخ والتي تحت
أيدينا حتى الآن لم تشر إلى كنه هذا الفرعون ومن يكون ، وقد يكون فى باطن الأرض ما قد
يغير كل هذه الافتراضات والتخمينات .



obeikandi.com

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- ١ - ابن كثير، قصص الأنبياء. دار العقيدة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢.
- ٢ - أدولف إيرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى، القاهرة، ١٩٥٤.
- ٣ - أحمد عبد الحميد يوسف (دكتور)، مصر فى القرآن والسنة، دار الشروق، طبعة خاصة ضمن مكتبة الأسرة، ٢٠١١.
- ٤ - أحمد فخرى (دكتور)، مصر الفرعونية، ١٩٧١.
- ٥ - أحمد قدرى (دكتور)، المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية، ترجمة مختار السويفى ومحمد العزب موسى، مطبعة هيئة الآثار المصرية، ١٩٨٥.
- ٦ - ألن شورتر، الحياة اليومية فى مصر القديمة، ترجمة نجيب ميخائيل إبراهيم، ومحرم كمال، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥.
- ٧ - بيير مونتيه، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة، ترجمة عزيز مرقص ومراجعة عبد الحميد الدواخلى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥.
- ٨ - تحفة هندوسة (دكتور)، الزواج والطلاق فى مصر القديمة، مطبعة المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٨.
- ٩ - ت. ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
- ١٠ - جان يويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة ١٩٩٦.
- ١١ - جلال زكى، موسى على أرض مصر، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧.
- ١٢ - جون ويلسون، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخرى، القاهرة، ١٩٥٦.
- ١٣ - جورج بوزنر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦.
- ١٤ - جيمس بيكى، الآثار المصرية فى وادى النيل، ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد، ومراجعة جمال الدين مختار، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٨٧.
- ١٥ - جيمس هنرى بريستد، تاريخ مصر منذ أقدم العصور، ترجمة د. حسن كمال، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٩.

- ١٦ - جيمس هنرى بريستد، فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- ١٧ - رشدى البدراوى (دكتور). موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟ أستاذ بجامعة القاهرة وباحث وكاتب إسلامى.
- ١٨ - رمضان السيد عبده (دكتور)، تاريخ مصر القديمة، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، هيئة الآثار المصرية، ج ٢، ١٩٩٣.
- ١٩ - رمضان السيد عبده (دكتور)، اللوحة ذات النصين ليست لوحة إسرائيل، مجلة كلية الآداب جامعة المنيا، ١٩٩٠.
- ٢٠ - رمضان السيد عبده (دكتور)، دراسة حول تطور علاقة موسى بالمسئول فى مصر، فى الفترة التى عاش فيها، مجلة التاريخ والمستقبل، العدد الثانى، يوليو ٢٠٠٠.
- ٢١ - سعيد ثابت، فرعون موسى، دار المدينة المنورة، القاهرة، ١٩٩٢.
- ٢٢ - سعيد أبو العينين، الفرعون الذى يطارده اليهود بين التوراة والقرآن - كتاب اليوم، ١٩٩٧.
- ٢٣ - سليم حسن، مصر القديمة، الأجزاء ١، ٢، ٦، ٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة خاصة ضمن مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠.
- ٢٤ - سيد توفيق (دكتور)، معالم وتاريخ حضارة مصر الفرعونية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.
- ٢٥ - سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، ترجمة وتحقيق جورج طرابيشى، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.
- ٢٦ - عبد الصبور شاهين (دكتور) وإصلاح عبد السلام الرفاعى، مصر قبل الإسلام، الزهراء للإعلام العربى، ٢٠٠٠.
- ٢٧ - عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج ١، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٠.
- ٢٨ - فيليب حتى (دكتور)، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج ١، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة ببيروت، ١٩٥٨.
- ٢٩ - فوزى مكاوى (دكتور)، الناس فى مصر القديمة، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٥.
- ٣٠ - قلينى نجيب، فرعون موسى، دار حورس، ١٩٩٢.

- ٣١ - كنت أ. كتشن، رسيس الثاني فرعون المجد، ترجمة: د. أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨.
- ٣٢ - لييب حبشى، مسلات مصر، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، ناطحات السحاب فى الزمن الماضى، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ١٩٩٤.
- ٣٣ - محمد بيومى مهران (دكتور)، اخناتون عصره ودعوته، الإسكندرية، ١٩٧٩.
- ٣٤ - محمد بيومى مهران (دكتور)، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، الحضارة المصرية، الإسكندرية، ١٩٨٤.
- ٣٥ - محمد بيومى مهران (دكتور)، دراسات تاريخية فى القرآن الكريم، بيروت، ج٢، ١٩٩٨.
- ٣٦ - مراد محمد محمود الدش، عبور موسى من بحيرة قارون، وتحتمس الثالث فرعون الخروج، دار الحكيم، ١٩٩٩.
- ٣٧ - محمد السيد الداودى، من كنوز القرآن، بحوث لغوية متنوعة، دار المعارف، ١٩٧٣.
- ٣٨ - محمد وصفى، الارتباط الزمنى والعقادى بين الأنبياء والرسل، ترجمة وتحقيق: بسام عبد الوهاب الجابى، دار ابن حزم، ١٩٩٧.
- ٣٩ - محمد عزة دروزة، تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٦٩.
- ٤٠ - منال محمود محمد محمود، الجريمة والعقاب فى مصر القديمة، مطبعة المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٤.
- ٤١ - موريس بوكاى، العبرانيون فى مصر، بحث فى مؤتمر ماليزيا للإعجاز العلمى، ١٩٩٤.
- ٤٢ - موريس بوكاى، دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة مكتبة النافذة، دراسة وتقديم خالد محمد عيد ١٩٩٧.
- ٤٣ - موريس بوكاى، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار الملتقى للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣.
- ٤٤ - نجيب ميخائيل إبراهيم (دكتور)، مصر والشرق الأدنى القديم، مصر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٦٢.

- ٤٥ - نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٤٦ - وهيب كامل، ديودور الصقلي في مصر، القاهرة ١٩٤٧.
- ٤٧ - القرآن الكريم.
- ٤٨ - تفسير الطبري.
- ٤٩ - تفسير بن كثير.
- ٥٠ - تفسير القرطبي.
- ٥١ - تفسير فتح القدير.
- ٥٢ - تفسير البيضاوي.
- ٥٣ - تفسير الجلالين.
- ٥٤ - تفسير البغوي.
- ٥٥ - تفسير الدر المنثور.
- ٥٦ - الكتاب المقدس.

□□□

ثانياً: المراجع الأجنبية

1. Assmann, Jan, Moses the Egyptian: The Memory of Egypt in Western Monotheism. Harvard University Press, 1997
2. Fast, Howard. Moses, Prince of Egypt, Crown Pubs., New York, 1958.
3. Freud, Sigmund. Moses and Monotheism. New York: Vintage, 1967
4. Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, Oxford. 1976.
5. Grafton Elliot Smith, The Royal Mummies, Cairo, 1912, pp. 65 –70.
6. Henri Daniel Rops, Israel and the Ancient World, London, 1964.
7. John Argubright , Bible Believer's Archaeology, Volume 1, Historical Evidence That Proves the Bible. USA, 1997.
8. Kenneth A. Kitchen, The Physical Text of Merenptah's Victory Hymn [The "Israel Stela"], The Journal of the Society for the Study of Egyptian Antiquities 24 [1994]: 71–76
9. Kitchen, Kenneth. Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II. King of Egypt. London: Aris & Phillips(1983)
10. Messod Sabbah, Roger Sabbath, Secrets of the Exodus: The Egyptian Origins of the Hebrew People, Allworth Press. 2004.
11. Naville. Archeology of the Old Testament, 1913
12. Nicholos Grimal, A History of Ancient Egypt, Blackwell, London, 1994.
13. Osman, Ahmed, Moses: Pharaoh of Egypt, The Mystery of Akhenaten Resolved, London, Paladin. 1994.
14. Osman, Ahmed, Moses and Akhenaten: The Secret History of Egypt at the Time of the Exodus, London, Paladin. 2002.
15. Osman, Ahmed, The Hebrew Pharaohs of Egypt: The Secret Lineage of the Patriarch Joseph, Bear & Company, London, 2003.
16. Petrie, H. I. C., Hykoses and Israelite Cities, London, 1906.
17. Smith, J. W., God & man in Early Israel, London, 1956.
18. Weigal, A., A History of the Pharaohs. London. 1986
19. [http://en.wikipedia.org/wiki/Musa_\(Prophet\)](http://en.wikipedia.org/wiki/Musa_(Prophet))
20. http://en.wikipedia.org/wiki/Moshe_Rabbein

21. <http://allanturner.com/pharaoh.htm>.

22. <http://www.55a.net>

□□□

oboeikandi.com